الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف- المسيلة

كلية: العلوم الإنسانية و الاجتماعية

قسم: التاريخ

نظرة المؤرخين الجزائريين للفترة العثمانية في الجزائر

أحمد توفيق المدني- أنمودجا-

مذكرة التخرج ضمن متطلبات نيل شهادة ماستر أكاديمي تخصص تاريخ الجزائر الحديث

من إعداد الطلبة:

- سعاد بوغالية
- صفية بن عزيز

إشراف الأستاذ:

أ.د إسماعيل تاحي

أعضاء لجنة المناقشة

الإسم و اللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
		رئيسا	
إسماعيل تاحي		مشرفا و مقررا	
		عضوا مناقشا	

السنة الجامعية: 2021- 2022 م

الإهداء

بعد الصلاة و السلام على سيدنا محمد، الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و يتحقق ما كان بالأمس حلما طال انتظاره.

نهدي ثمرة مجهودنا طيلة هذه السنين أولا إلى أمهاتنا المكافحات اللواتي كانتا أساس نجاحنا اللهم أطل أعمارهن و أدّم عليهن الصحة و العافية،

و إلى أبوينا رحمهما الله و رفع مقامهما في الجنة و اجعلهم اللهم مع النبيين و الشهداء و الصالحين يا رب، و إلى كل من ساندنا و زاد من قوتنا و إلى عائلتينا اللتان كانتا الدعم الأول و الأخير لنا، و إلى كل أساتذتنا الأفاضل عامة و إلى أستاذنا المشرف الدكتور "إسماعيل تاحي" خاصة و نشكره على كل المجهودات و إلى زملاء الدراسة و رفقاء الدرب، راجين من المولى تعالى التوفيق في مسيرتنا.

ملخص:

تمحورت دراستنا حول موضوع تعتقد أنه يشكل مجال اهتمام كثير من الطلبة و أيضا المؤرخين و يتمثل في نظرة المؤرخين الجزائريين لفترة هامة من تاريخ الجزائر و هي الفترة العثمانية التي للأسف تعرضت للكثير من التزييف المتعمد من طرف المؤرخين الأوروبيين و الفرنسيين خصوصا، و تأتي دراستنا لتسلط الضوء على أحد رواد الكتابة التاريخية عامة و تاريخ الفترة العثمانية خصوصا و بقصد هنا أحمد توفيق المدني الذي حاولنا في هذه الدراسة أن نغوص في كتابة هذا المؤرخ من حيث الأسس و رؤية الرجل لهذه الفترة و أهدافها.

الكلمات المفتاحية: الفترة العثمانية، الكتابة التاريخية، أحمد توفيق المدني، إيالة الجزائر.

Summary:

Our study focused on a topic that you believe constitutes an area of interest for many students, as well as historians, and is represented in the Algerian historians' view of an important period in Algeria's history, the ottoman period, which unfortunately was subjected to a lot deliberate falsification by European and French historians in particular, and our study comes to shed light one of the pioneers of historical writing in general and the history of the ottoman period in particular, and here he means Ahmed taoufik El-Madani, who in this study tried to delve into the writing of this historian in terms of the foundations and the man's vision of this period and its goals.

Key words: Ottoman period, historical writing , Ahmed taoufik El Madani, Provence of Algeria.

قائمة المختصرات

ص: صفحة	ص ص: صفحات
ط: طبعة	دط: دون طبعة
ط خ: طبعة خاصة	مج: مجلد
م: ميلادي	ق. م: قرن ميلادي
ه: الهجري	د ت: دون تاريخ
ج: الجزء	ع: العدد
تح: تحقيق	تر: ترجمة
تق: تقديم	الخ: إلى آخره

المقدمة

1. التعريف بالموضوع : دخل العثمانيون إلى الجزائر كقوة حامية لمواجهة التحرشات الإسبانية على السواحل الجزائرية، حيث إستنجدوا بالإخوة بربروس، و بعد طردهم للإسبان مكث العثمانيون بالجزائر ثلاثة قرون و عشرون سنة، تخللها الكثير من الأحداث و المراحل ما أسال حبر المؤرخين الجزائريين لغيرتهم على الوطن عكس المؤرخين الأجانب خصوصا الفرنسيين الذين أهملوا تلك الفترة من تاريخ الجزائر، و تفاقمت المشكلة بعد إتلاف الاستعمار الفرنسي للعديد من الوثائق و المستندات الجزائرية العثمانية المهمة، و من أهم المؤرخين الباحثين الساعين في جمع الأرشيف العثماني الذي بذل جهدا مضاعفا المؤرخ و الباحث توفيق المدني، حيث تعتبر أبحاثه من أهم المراجع الموثوقية للنظر عن كتب للخارطة التاريخية لتلك الفترة و في هذا السياق يأتى موضوعنا الموسوم بـــ: نظرة المؤرخين الجزائريين للفترة العثمانية أحمد توفيق المدني أنموذجا.

و نعتقد أن أهمية موضوعنا تكمن في ما يعالجه من جوانب مختلفة حول تاريخ الجزائر العثمانية و ما تسلطه على شخصية علمية بارزة لها مكانتها في التاريخ و كذا المساهمة في جانب التأريخ و جمع الأرشيف العثماني، كما تكمن أهمية دراسة هذا الموضوع من خلال إلقاء الضوء على مدى مساهمته في الحفاظ على التراث و توضيح الغلط الموجود في كتابة تاريخ الجزائر بتوضيح الفترة العثمانية.

2. أسباب إختيار الموضوع: لم يكن اختيارنا لهذا الموضوع وليد الصدفة أو أمرا بديهيا، بل كان راجعا إلى جملة من العوامل دفعتنا إلى اختياره من أهمها:

أ. عوامل موضوعية:

أولا: معرفة الأساليب و الطرق التي سلكها مترجمنا لطرح أفكاره و تجسيد جهوده في الدفاع عن الوطنية و الهوية الحضارية للشعب الجزائري؛

ثانيا: التعرف على مجهودات المؤرخين الجزائريين في كتابة التاريخ الجزائري إبان الفترة العثمانية؛

ثالثا: التعرف على الوثائق العثمانية الموجودة في الأرشيف الوطني التي ساهم في جمعها مترجمنا؛

رابعا: التعريف بشخصية مترجمنا و كذا بإسهامه في التراث الفكري و توضيح نضاله السياسي في بلد مولده (تونس) و الجزائر، و مشواره العلمي؛

ب.عوامل ذاتية:

خامسا: الرغبة الشخصية في البحث عن تراجم الأعلام و الشخصيات؛

سادسا: الفضول و الميول الشخصي لتعرف على شخصية المؤرخ أحمد توفيق المدني.

3. الإشكالية: تتمحور إشكالية بحثنا حول نظرة المؤرخين الجزائريين للفترة العثمانية و أحمد توفيق المدني أنموذجا لهؤلاء و ذلك للبحث و التحليل لنظرة المؤرخين الجزائريين من حيث منطلقات و طبيعة هذه النظرة و إبراز أحمد توفيق المدني كأحد أبرز من أرخ لهذه الفترة و عليه نطرح مجموعة من الأسئلة المحورية:

1. كيف كانت حالة الجزائر في هذه الفترة ؟

2. ما هي ظروف ميلاد و نشأة أحمد توفيق المدني ؟ و كيف كانت نشأته العلمية؟ و ما هي أهم آثاره؟

3. ما المقصود بالكتابة التاريخية؟ و هل نجحت الكتابة التاريخية الجزائرية في تجاوز الكتابات الغربية و الفرنسية تحديداً؟

4. مناهج البحث: للإلمام بأطراف الموضوع و الإجابة على التساؤلات المعروضة استخدمنا المناهج الآتية:

أ. المنهج التاريخي الوصفي: من خلال دراسة الوثائق و المصادر و تحليلها و مقابلتها ببعضها البعض للوقوف على الحقائق التاريخية؛

ب. المنهج التحليلي: و يستنبط في عرض الأفكار و تحليلها؛

ت. المنهج المقارن: فرضت علينا طبيعة الموضوع توظيف المنهج المقارنة في تميز الكتابة التاريخية الجزائرية عن غيرها من الكتابات.

5. الخطة: سمحت لنا المادة العلمية التي تمكنا من الحصول عليها و تبعا للإجابة عن الإشكالية المطروحة تقسيم موضوعنا إلى مقدمة، أربعة فصول و خاتمة.

تطرقنا في المقدمة إلى التعريف بالموضوع، أسباب اختياره، الإشكالية، المناهج الموظفة في الدراسة، الخطة ، أهم المصادر و مراجع البحث و الصعوبات.

بدأنا موضوعنا بفصل تمهيدي جاء بعنوان: الأوضاع العامة في الجزائر في الفترة العثمانية، فقسمناه إلى مبحثين

المبحث الأول: الأوضاع السياسية

تناولنا الحالة السياسية ابان الفترة العثمانية بالجزائر، و مراحل الحكم و التي كانت أربعة مراحل من 1520- 1830 م.

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية و الثقافية

حيث تناولنا في الأوضاع الاجتماعية فئات المجتمع الجزائري بالجزائر التركية و العوامل المؤثرة في المجتمع في تلك الفترة، أما ثقافيا فتمثلت مظاهر الثقافة بالتعليم و مؤسساته و التي كانت تدعم الدين الإسلامي.

أما الفصل الأول جاء بعنوان: الكتابة التاريخية للجزائر في الفترة العثمانية فقمنا بتقسيمه إلى ثلاثة مباحث؛ تناولنا في المبحث الأول نشأة الكتابة التاريخية عند ابن خلدون حيث تعرفنا على مفهوم كل من الكتابة و التاريخ لنتوصل إلى مفهوم عام للكتابة التاريخية بالإضافة إلى قواعد الكتابة التاريخية عند ابن خلدون و أثر منهجه على الكتابة التاريخية، أما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين و الغربيين (الفرنسيين)، و أخيرا تناولنا في المبحث الثالث القيمة التاريخية لهذه الكتابات فتوصلنا إلى مجموعة من النتائج التي كانت سببا في كتابة هؤلاء المؤرخين.

و في الفصل الثاني تطرقنا إلى أضواء على حياة أحمد توفيق المدني فقسمناه إلى ثلاثة مباحث؛ تناولنا في المبحث الأول مولده بتونس و نسبه و أصل عائلته و نشأته الأسرية و الاجتماعية، إضافة إلى نشاطه السياسي في تونس و الجزائر، و في المبحث الثاني تطرقنا إلى مسيرته العلمية حيث تحدثنا عن نوعية التعليم الذي تلقاه في المؤسسات العلمية التقليدية و العصرية، و تناولنا في المبحث الثالث أهم مؤلفات أحمد توفيق المدني في مسيرته الكتابية.

و في الفصل الثالث و الذي جاء بعنوان المدني و الأرشيف العثماني تناولنا فيه ثلاث مباحث؛ المبحث الثالث تطرقنا فيه إلى التعريف بالأرشيف العثماني و وثائق الأرشيف الجزائري العثماني التي ساهم المدني في جمعها، أما المبحث الثاني تناولنا فيه مفهوم الجهاد البحري (القرصنة) و نتائجها بالإضافة إلى موقف المدني من الجهاد البحري العثماني بالجزائر، و في المبحث الثالث تحدثنا فيه عن موقف المدني من التواجد في الجزائر.

و أنهينا الموضوع بخاتمة رصدنا فيها مجموعة النتائج المتوصل إليها و أرفقنا ملاحق توضيحي

6.تعريف بأهم المصادر و المراجع

اعتمدنا في انجازنا لهذه الدراسة على جملة من المصادر و المراجع و الكثير من المقالات، و لم نكتف بذلك بل استعنا بوسائل و أطروحات جامعية، و يمكن تقسيم المصادر و المراجع إلى:

1. المصادر

أولا: مذكرات أحمد توفيق المدني و التي جاءت في ثلاثة أجزاء غطت المرحلة الممتدة من 1905- 1962 م و التي جاءت تحت عنوان "حياة كفاح" حيث عالج في الجزء الأول مرحلة النشأة و التكوين العلمي، أما الجزء الثاني عرض فيه نشاطات المدني بالجزائر بعد إبعاده إليها سنة 1925 محيث يصور جوانب عديدة، و يناقش قضايا هامة الواقع السياسي و الحياة الفكرية و الثقافية، و استعرض في الجزء الثالث تناول فيه مرحلة الثورة التحريرية و مساهماته.

ثانيا: ثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا

ثالثا: كتاب الجزائر لمؤلفه الشيح أحمد توفيق المدني حيث عرضنا من خلاله صورة الجزائر الاقتصادية و الاجتماعية و الثقافية و السياسية، و قد حمل بعض مواقفه و آرائه اتجاه تيار الطرقية، و الدعوة إلى إصلاح نظام التعليم و غيرها من القضايا.

2. المراجع

أ. الكتب

ب. المقالات

7.صعوبات الدراسة: كأي بحث علمي لا يخلو من صعوبات و مشاكل، فالصعوبات التي واجهتنا في أثناء إنجازنا لهذا العمل هي:

أولا: طول الفترة المدروسة؛

ثانيا: كثرة المادة العلمية ما أدى إلى صعوبة التحكم فيها و تبويبها و تصنيفها و ترتيبها وفق ما يخدم البحث؛

ثالثا: وجود مصادر و مراجع باللغات الأجنبية، التركية، الإنجليزية، الفرنسية؛

رابعا: التكاليف المادية المترتبة على التنقلات لجمع المراجع لنقصها في مكتبة الجامعة.

الفصل التمهيدي:

الأوضاع العامة في الجزائر في الفترة العثمانية

يعتبر القرن السادس عشر بالنسبة للتاريخ المغاربي، قرنا محوريا إذ شهد تحولا كبيرا جدا على جميع المستويات، و إذ عرف بقرن المجابهات الحربية بين مختلف الأطراف، فهو و لا شك قرن التحولات الضخمة في الأنظمة السياسية و الاتصالات المباشرة و البعثات التي حصلت بين أطرافه عبر البحر الأبيض المتوسط و هو أيضا قرن التحالفات الظرفية و المنافع العاجلة.

و منه سنتطرق في هذا الفصل إلى الأحداث السياسية و الاجتماعية و الثقافية الجزائر خلال العهد العثماني.

المبحث الأول: الأوضاع السياسية

تميزت الحياة السياسية في الجزائر منذ مطلع القرن السادس عشر، بعدم الاستقرار

و توالي عدة أنماط من الحكم على السلطة، و يرجع هذا إلى طبيعة الوجود التركي في الجزائر.[1] كما بينت الحقائق التاريخية عن المرحلة السياسية التي مرت بها الأيالة من 1659 م إلى 1711 م أن الديوان و أصحاب الحل و العقد من الأحيان و العلماء كان لهم وزن في تعيين و مبايعة الحاكم وفقا للظروف الداخلية و الخارجية الأيالة غايتهم في ذلك تحسين الوضع السياسي بإصلاح الإداري و التنظيم الاقتصادي و كسب ثقة السكان و امتداد العمران و استمرار الإنتاج...الخ.[2]

شهدت للحكومة التركية بالجزائر أربعة أشكال من الأنظمة السياسية، انفرد كل واحد منها بمواصفات بسبب الوضع الدولي للإيالة الجزائري.

---

[1] هلايلي حنيفي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، دار الهدى، عين مليلة– الجزائر، ط1، 2008، ص 127.

[2] حسان كشرود: **رواتب الجند و عامة الموظفين و أوضاعهم الاجتماعية و الاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659 م إلى 1830 م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص التاريخ الاجتماعي لدول المغرب العربي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة منتوري_ قسنطينة، 2007–2008، ص 16.

1. مرحلة البايلربايات (1520- 1587 م)

أصبحت الجزائر في هذه الفترة إيالة عثمانية يحكمها البايلرباي الذي عينه السلطان العثماني سليم الأول، فقد أرسل حوالي 2000 جنديا إنكشاريا، و 4000 من المتطوعين و كان هذا دليل على دخول الجزائر تحت الخلافة العثمانية.[1]

و قد تميزت هذه المرحلة من الحكم العثماني بمجموعة من المميزات تمثلت فيما يلي:[2]

أولا: في هذه للمرحلة تم بناء الأسطول الجزائري، و استكملت الوحدة الإقليمية للجزائر، و يعد صالح رايس الذي تمكن من طرد الإسبان من بجاية و المهدية صاحب هذه الوحدة التي تميزت بالحنكة، و المهادنة فقد ساهم بشكل كبير في مواجهة الإسبان، هذا فضلا عن شجاعته القوية، و جمع بين الوعي و الخبرة و الشجاعة، فقد ساهم هذا التوسع في استقرار جغرافية المغرب العربي من نهاية القرن 16 م إلى غاية 1830 م؛

ثانيا: كما تميزت هذه المرحلة بالقضاء النهائي على الأطماع الإسبانية، و التمردات، فسقطت صخرة البينون سنة 1529 م التي بناها الإسبان منذ 1510 م و هي تقع على جزيرة صغيرة؛

ثالثا: تميزت هذه الفترة بركوض علمي، و جمود فكري حتى أنه لم يظهر أحد من المفسرين في هذه الفترة ذلك أن الأمراء العثمانيين كانوا منشغلين بالفتوحات و إخضاع الإسبان، فقد دامت هذه الفترة حوالي 70 سنة؛

رابعا: استطاع البايلربايات كسب ود السكان المحليين، و لعل هذا ما ساعدهم في تسيير مهامهم السياسية و العسكرية، و هذا ما أدى إلى وجود نوع من الاستقرار، فقد أخذو

---

[1] عبد الجليل رحموني: **اهتمامات المجلة الإفريقية بتاريخ الجزائر العثمانية (1520 م_1830 م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ حديث و معاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس_ سيدي بلعباس، 2014_ 2015، ص 67.

[2] نفسه، ص ص 68-69.

على عاتقهم تحرير البلاد من الاحتلال الإسباني، و هذا ما أكسبهم ثقة كبيرة من طرف الرعية و حتى رجال الزوايا و الطرق الصوفية، و عليه يمكن الجزم بأن الإيالة الجزائرية في هذه الفترة كانت تعيش أزهى عصورها.

و بعد وفاة علج علي[1] سنة 1587 م قدرت الدولة العثمانية أن الوقت قد حان لإدخال الولايات الثلاث في شمال افريقيا في إطار التنظيمات العثمانية العادية، فألغت لبايلربايات الجزائر و حولت الولايات الثلاث إلى نيابات يديرها باشا يعين لمدة ثلاث سنوات.[2]

2. مرحلة الباشاوات 1587- 1659 م

تعتبر هذه المرحلة جديدة في تاريخ الجزائر و ذلك لأن السلطان العثماني أراد أن يخفف من حدة النزاع بين فئة الرياس و فئة اليولداش؛ و لذلك قرر إلغاء رتبة الباي و تعويضها برتبة الباشا.[3]

تميزت هذه المرحلة من تاريخ الجزائر بما يلي:[4]

أولا: تعيين باشا تركي في كل من الجزائر و تونس و طرابلس بعد أن كان هناك حاكم واحد للمنطقة يوجد مقر حكمه بالجزائر؛

ثانيا: بدأت تظهر الخلافات و التناقضات بين جنود البحرية الجزائرية (الرياس) و بين جنود البحرية العثمانية و خاصة عندما حاول الأتراك أن يخضعوا المصالح الجزائرية لمصالح الإمبراطورية العثمانية؛

---

[1] **علج علي (1500- 1587):** اسمه الأصلي " جيوفاني ديونيدجي غالليني (1519 - 21 يونيو 1587) من رجال البحر العثمانيين من أصلٍ إيطاليٍ ، اعتنق الإسلام وأصبحَ من رياس البحر العثمانيين ثم قبودان بحرى للأسطولِ العُثمانيِ في القرن السادس عشرِ (أنظر: صالح عباد:**الجزائرخلال الحكم التركي 1514- 1830م**،دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، ط2، دت، ص 90).

[2] حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، مرجع سبق ذكره، ص 132.

[3] عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962 م**، دار البصائر، الجزائر، ط3، 2008، ص 58.

[4] نفسه، ص ص 58- 59.

ثالثا: برزت قوة الرياس أو قوة رجال البحرية الجزائرية إلى درجة أن دول أوروبا أصبحت تخشى الجزائر و تسعى لإقامة علاقات تعاون معها. و عندما تعثرت المفاوضات قامت الدول المسيحية بشن حملة عسكرية على الجزائر في شهر سبتمبر من عام 1701 م؛

رابعا: حصول تصادم و تنافر بين جنود البحرية و جنود القوات البرية (اليولداش) و خاصة أن رجال البحرية كانوا يحصلون على غنائم كبيرة جراء غاراتهم البحرية الناجحة على أساطيل القوات الأوروبية، و هذا الصراع هو الذي تسبب في إضعاف الدولة الجزائرية.

3. مرحلة الآغاوات (1659- 1671 م)

منذ البداية في هذا النظام حمل بين طياته بوادر الانحلال و التفكك و الفوضى فتولى الآغا لمدة شهرين ثم عزله و الإتيان بآخر لا يساعد على الاستقرار، بحيث أصبح هؤلاء يرفضون التخلي عن مناصبهم فسادت الفوضى و أغتيل الأغوات الأربعة من طرف الجنود لعجزهم عن تلبية متطلبات الجنود المادية.[1]

كما تميزت هذه الفترة القصيرة من نظام حكم الأغوات في الجزائر بما يلي:[2]

أولا: اضمحلال نفود السلطان العثماني و غياب السيادة العثمانية في الجزائر؛

ثانيا: استفحال الصراعات المحلية سوء بين ضباط الجيش البري أو ضباط الجيش البحري، و تذمر أبناء الشعب من الفساد السياسي و انتشار الفوضى في البلاد؛

ثالثا: نجح " اليولداش " في قلب نظام الحكم و الانفصال عن العثمانيين و الحد من سلطة " الرياس " لكنهم فشلوا في إنشاء نظام سياسي ديمقراطي ناجح؛

---

[1] عائشة جميل: **الجزائر و الباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520- 1830 م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ حديث و معاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس، 2017- 2018، ص ص 64-65.

[2] عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص ص 59- 60.

رابعا: كان الإنقلاب على الباشوات عبارة عن انتقام من طائفة أو فئة الرياس التي كانت كلمتها مسموعة في عهد الباشوات.

4. مرحلة الدايات (1671- 1830 م)

كان للهمجات المتوالية التي شنها الأوروبيون على الجزائر أواخر عهد الآغوات تأثير كبير على الوضع الداخلي للبلاد و على السلطة نفسها.[1] و لذلك قسمنا هذه المرحلة من عهد الدايات إلى مرحلتين متميزتين هما:[2]

المرحلة الأولى: مرحلة القوة و الإستقرار (1671- 1805 م)

تمكن الحكام خلالها من تحقيق عدة إنجازات، مثل: تحرير وهران من الإسبان و التصدي للحملات الأوروبية.و عرفت البلاد استقرارا نسبيا، تمكن الحكام من السيطرة على الأوضاع و انفردوا بالسلطة تم تعويض الدواوين بمجلس خاص يتكون من خمسة أعضاء رئيسيين هم: الخزناجي، و آغا العرب، و خوجة الخيل، و وكيل الحرج، و بيت المالجي.

المرحلة الثانية: مرحلة الإنهيار و السقوط (1805- 1830 م)

فكانت بمثابة نهاية الحكم العثماني في الجزائر، فقد عرفت البلاد خلال هذه الفترة انتفاضات داخلية، و تدهور الحياة السياسية و العسكرية مما كان له من آثار سلبية على الأوضاع العامة. و زادت الأوضاع تفاقما نتيجة الحملات المتتالية التي كانت تشنها الدول الأوروبية و الولايات المتحدة الأمريكية.

و باختصار، فإن فترة حكم الدايات قد تميزت بخصائص يمكن إيجازها فيما يلي:[3]

أولا: تحول جنود البحرية من جنود مناضلين و مقاتلين ضد القوات المسيحية المناهضة للإسلام إلى رجال يبحثون عن الغنائم لأنفسهم و للحكام؛

---

[1] يحيى بوعزيز: **الموجز في تاريخ الجزائر – الجزائر الحديثة**، دار البصائر، الجزائر، ط خ، 2009، ص 42.

[2] أرزقي شويتام: **المجتمع الجزائري و فعاليته في العهد العثماني 1519- 1830 م**، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2009، ص ص 40- 41.

[3] عمار بوحوشن مرجع سبق ذكره، ص ص 61- 62.

ثانيا: اهتم حكام الجزائر في القرن السابع عشر و الثامن عشر بجمع الثروة من العمليات الحربية في البحر، و لم يهتموا بتطور الدخل من الثروة الفلاحية و توفير الغذاء للسكان؛

ثالثا: نتيجة لاعتماد الحكام على الحروب و الصراعات الداخلية بين فئات الجيش، فقد لقي العديد من الحكام مصرعهم على يد المجموعات المعادية لهم بحيث أصبحت قضية اغتيال المسؤولين عملية عادية؛

رابعا: تمكن حكام الجزائر في هذه المرحلة الأخيرة من القضاء نهائيا على الوجود الإسباني في الجزائر خاصة في سنة 1792 م حيث تمكن قادة الجزائر من طرد الجيش الإسباني من وهران و المرسى الكبير.

و في الأخير يمكننا القول أنه بالرغم من نوعية الحكم المتبع في الجزائر طوال القرون الثلاثة، فإنه بقي محصورا في أيدي الأتراك العثمانيين، الذين سهروا منذ بداية عهدهم على تعزيز وجودهم في الجزائر، و ضمان استمرار حكمهم فيها. و كان ذلك بإقصائهم للعنصر المحلي من المناصب العليا في الدولة، و اعتمادهم سياسة التجنيد من الولايات العثمانية المشرقية، و هنا يكمن سبب ضعف حكمهم و زواله.[1]

المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية و الثقافية

أولا: الأوضاع الاجتماعية

اختلفت المصادر الأجنبية و المحلية في تقدير عدد سكان الجزائر في أواخر العهد العثماني،[2] و بالرغم من عدم وجود إحصائيات رسمية عن سكان القطر الجزائري في نهاية العهد العثماني كان يتراوح بين ثلاثة ملايين و ثلاثة و نصف مليون نسمة و أن

[1] أرزقي شويتام، مرجع سبق ذكره، ص 41.

[2] هلايلي حنيفي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سبق ذكره، ص 162.

5%من هؤلاء السكان كانوا يعيشون في المدن، و 95 %من السكان الجزائريين كانوا يعيشون في الريف.[1]

شهد القرن التاسع عشر موجة من المجاعات المهلكة لسنوات متلاحقة، ففي سنة 1800م حدثت مجاعة بالبلاد اختفت فيها الأقوات من الأسواق حتى اضطر الداي مصطفى باشا بالالتجاء إلى استيراد القمح من البحر الأسود لتوزيعه على السكان،[2] و هذا ما أشار إليه حمدان خوجة بقوله:" و في سنة 1800 م أصيبت الجزائر بمجاعة كبرى، و وقعت الحاجة إلى الأقوات، فأمر الداي لتموين البلاد بالذهاب إلى موانئ البحر الأسود لشراء القمح. و قدبيع ذلك القمح بثمانية و عشرين فرنكا للصاع الواحد، و على الرغم من ذلك كان لابد من تنصيب الجنود عند باب كل مخزن ".[3]

و بسبب المجاعات انتشرت الأمراض و زادت حدتها بسبب جهل أغلبية الأهالي بأبسط قواعد الصحة، كما أن قلة الأدوية زادت الحالة الصحية سوءا.

1. فئات المجتمع الجزائري

و فيما يلي التقسيم الاجتماعي لسكان الجزائر في مرحلة الحكم العثماني بالجزائر و الذي كان كالتالي:

أ. **جماعة الحضر**: كانت تتكون من الأسر و العائلات المستقرة بالبلاد،[4] فهذه الفئة تتكون من العرب و الأمازيغ[5] و من مهاجري الأندلس بعد أن تكاثر عددهم نتيجة قرارات الطرد النهائي الصادرة عن ملك إسبانيا فليب الثالث سنة 1609 م.

---

[1] عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص 73.

[2] هلايلي حنيفي: **أوراق تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سبق ذكره، ص 163.

[3] حمدان خوجة: المرآة، تح: محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1982، ص 139.

[4] هلايلي حنيفي، مرجع سبق ذكره، ص 167.

[5] أرزقي شويتام، مرجع سبق ذكره، ص 77.

كما استطاع أفراد الجالية الأندلسية بفضل نشاطهم الاقتصادي الواسع تكوين ثروات ضخمة ساهمت في فعالية اقتصاد إيالة الجزائر.[1]

إن تنوع السكان قد ساعد المدن الجزائرية على أن تعرف انتعاشا و ازدهارا، شمل الجوانب الاقتصادية، و الاجتماعية، و العمرانية، و الثقافية. و أصبحت مراكز استقطاب السكان و قد أدى هذا الوضع إلى انتشار ظاهرة النزوح الريفي نحو المدن، بحثا عن العمل و الارتزاق و ترتب على ذلك ظهور فئة سكانية جديدة اصطلحت المصادر على تسميتها بالبرانية.[2] تم اعتبار هذه الفئة من سكان مدينة الجزائر النشيطين و بالرغم من هيمنتهم على العديد من المهن غير المرغوب فيها من طرف الحضريين بمختلف فئاتهم و تقديمهم للعديد من الخدمات الضرورية لأهل المدينة فقد ظلوا يعتبرون أجانب بسبب انغلاقهم ضمن المجموعات التي ينتمون إليها و عدم اندماجهم بشكل علمي في حياة المجتمع من خلال الزواج و امتلاك العقارات و غير ذلك.

و قد عاش بالجزائر خلال هذه المرحلة عدد هام من البرانيين ينتمون لعدة مجموعات أهمها: المزابيون، و الأغواطيون، و البسكريون، و القبائليون، و الجيجليون.[3]

ب. **جماعة الكراغلة:** و هي الجماعة التي برزت إلى الوجود و تميزت عن السكان إلى درجة أن

عددهم بلغ في نهاية القرن الثامن عشر بمدينة الجزائر حوالي 6000 نسمة كما تزايد عددهم بشكل ملحوظ في مدينة تلمسان.[4] فالكرغلان هم أولاد الأتراك من أمهات جزائريات.[5]

و بالرغم إلى إنتمائهم إلى أصل تركي فإنهم لم يحصلوا على امتيازات أو يشاركوا في الحكم. و لم يكن لهم الحق في الانتساب إلى الجيش أو الحصول على مناصب إدارية بحكم أنهم قد يتحالفون مع أبناء الجزائر الأصليين،[6]و بالفعل حاول أفراد هذه الجماعة و بواسطة التحالف مع بعض الشرائح

---

[1] هلايلي حنيفي، مرجع سبق ذكره، ص ص 77- 78.

[2] أرزقي شويتام، مرجع سبق ذكره، ص ص 77- 78.

[3] هلايلي حنيفي: **أوراق تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سبق ذكره، ص ص 168- 169.

[4] عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص 74.

[5] نور الدين عبد القادر: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، دط، 2006، ص 143.

[6] عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص 74.

الاجتماعية المحلية، أن يطالبوا بنفس الامتيازات التي كان يتمتع بها الأتراك و كانت أخطر ثورة لهم على النظام التركي هي ثورة 1633 م إذ تسللوا إلى مدينة الجزائر في الظلام لكن محاولتهم انكشفت و قضى الباشا حسين على زعماء الثورة بكل وحشية، و قام الأتراك بنفيهم نحو المدن الداخلية و تشتتت تجمعاتهم.[1]

و كان الكراغلة يملكون ثروات و يستثمرونها في المزارع و يترفعون عن خدمة الأرض أو القيام بأعمال يدوية.[2]

ت. جماعة الدخلاء: تتكون غالبيتها من أفراد الجالية اليهودية سواء من كان منها مستقرا

بالبلاد منذ القديم أو من أتى إليها من إسبانيا[3] و تضم أيضا جماعات الأسرى المسيحيين.[4]

1. فئة اليهود: يعود وجود اليهود بالجزائر إلى فترة قديمة، منذ الفتح الإسلامي تكاثرت أعدادهم بعد أن شملهم الاضطهاد في الأندلس مع المسلمين فهربوا إلى سواحل شمال إفريقيا.حيث قال الأستاذ أحمد توفيق المدني بأن عدد اليهود في القطر الجزائري كان يبلغ نحو مائتي ألف نسمة و لقد كانوا يعاملوا في القطر الجزائري قبل الاحتلال معاملة أهل الذمة، و يعتبرونهم المسلمون جيران لهم يرعون عهدهم و يحققون لهم حرية العمل و حرية المعتقد، بل كان اليهود ينالون أحيانا المناصب الرفيعة في الإدارة و خاصة- أيام الجمهورية الجزائرية العثمانية و دولة الجزائر الحرة العربية، و كان اليهود يلجئون إلى قطر الجزائر كلما نابتهم نائبة في أقطار البحر المتوسط، فمن أيام بخنتصر سنة 329 ق. م إلى أيام انهيار الدولة الإسلامية ببلاد الأندلس كانت الوفود اليهودية ترد على البلاد الجزائرية، فتحل فيها على الرحب و السعة لكن اليهود كانوا

---

[1] هلايلي حنيفي، مرجع سبق ذكره، ص ص 166- 167.

[2] عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص 74.

[3] هلايلي حنيفي: **أوراق تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سبق ذكره، ص 174.

[4] نفسه، ص 173.

يعتبرون أنفسهم جالية مستقلة فلا يشاركون في الدفاع عن البلاد، و لا يراعون مصلحة الوطن في معاملاتهم التجارية و الاقتصادية..الخ.[1]

و قد احترم العثمانيون ثقافة اليهود لكنهم أجبروا على ارتداء لباس يختلف عن لباس المسلمين يسكنون أحياء خاصة بهم، و يدفعون ضرائب تقدر بـــ 1500 دوبلاس (600 قطعة ذهبية). و قد تمتعت هذه الفئة بامتيازات اقتصادية كبيرة و يمارس اليهود الوساطة فيما يخص العلاقات الدبلوماسية و التجارية بين أوروبا و البربر، كما يلعبون دورا مهما في شراء و بيع الغنائم، و هم أول من اخترعوا الكمبيالات[2] و استخدموها في معاملاتهم مع مراسليهم من كل البلاد الأوروبية، كما يعملون بصياغة الذهب و الصيرفة و يقومون بسك العملات الذهبية و النحاسية و الفضية.[3]

2. **جماعات الأسرى المسيحيين (الأرقاء):** كان يوجد في الجزائر عدد من الأسرى المسيحيين الذين تعود أصولهم إلى مختلف الدول الأوروبية. كما كان هناك بعض الأسرى الأمريكيين و كان عدد هؤلاء الأسرى غير مستقر، فهو يختلف من فترة إلى أخرى، حيث كانت تتحكم فيه طبيعة علاقات الجزائر بالدول الأوروبية من جهة، و مدى تفوقها في عرض البحر من جهة أخرى.[4]

---

[1] عبد الغني إبراهيم بلفيروس: **صفحات من جهاد الجزائريين بفلسطين 1948- 1949 م**، دار الخلدونية للنشر و التوزيع، القبة القديمة، الجزائر، ط1، 2010، ص 38.

[2] **الكمبيالات (السفتجة):** هي محرر بأمر فيه الدائن (الساحب) مدينه (المسحوب عليه) بدفع مبلغ معين (القيمة الإسمية) بتاريخ معين (تاريخ الاستحقاق) لصالح طرف ثالث هو المستفيد، حيث تقدم للقبول للمسحوب عليه، حيث يتعهد بموجب توقيعها على دفع مبلغها عند تاريخ استحقاقها، و قبولها من طرف المسحوب عليه ليس إجباريا (أنظر: محمد العزازي و آخرون: **التسيير المحاسبي و المالي- سنة الثانية ثانوي**، الديوان الوطني للمطبوعات، الجزائر، دط، 2013- 2014، ص 158).

[3] حسين بوخلوة: **عبد الكريم الفكون القسنطيني حياته و آثاره (988ه- 1073ه)/ (1580م- 1663م)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ و حضارة إسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية و الحضارة الإسلامية، جامعة السانية- وهران، 2008- 2009، ص 24.

[4] أرزقي شويتام، مرجع سبق ذكره، ص ص 95- 96.

لقد تم تسخيرهم للخدمة في قصور الدايات و الحانات أو السجون أو التجديف في السفن و في رعاية البساتين و كانوا قبل القرن السابع عشر يمثلون موردا اقتصاديا هاما للخزينة العامة عند افتدائهم من طرف دولهم.[1]

ث. جماعة الأستقراطية التركية: كانوا يشكلون إحدى الفئات في مدينة الجزائر، و الكثير من المدن، منذ أن ارتبطت الجزائر بالدولة العثمانية، و أصبحت واحدة من ولاياتها منذ عام 1519 م.[2]

تعتبر الفئة المسيطرة على الجزائر حتى نهاية الحكم العثماني بالجزائر، فالبرغم من قلة عددهم إلا أنها كانت قوية و ذات نفوذ واسع في البلاد، كما أن أفرادها يحرصون على إبقاء المناصب الحكومية بين أيديهم، و عزل السكان الأصليين للبلاد عنهم حتى لا ينافسوهم في السلطة و النفوذ.

تميز الأتراك عن غيرهم من السكان بإتباع تقاليد تركية و الافتخار بأعمالهم العسكرية و الاعتزاز بلغتهم الأصلية و العزوف عن خدمة الأرض، و كان معظم الأتراك يفضلون كسب عيشهم من المرتبات التي يحصلون عليها من خزينة الدولة أو من إيجار المحلات التي تحمل أسمائهم أو من إيجار البساتين التي يملكونها في المناطق التي يقيمون فيها. بالإضافة إلى أنهم كانوا يفضلون استقدام أبناء وطنهم من منطقة الأناضول في حالة الاحتياج إلى رجال آخرين.[3]

و صفوة القول فإن الأتراك كانت لديهم رغبة شديدة في تكريس هيمنتهم على المناصب الحساسة في الإيالة،[4] و هذا ما خلق حقد و عداء و نفور و جفاء من قبل سكان الجزائر.[5]

---

[1] هلايلي حنيفي: **أوراق تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سبق ذكره، ص 173.

[2] أرزقي شويتام، مرجع سبق ذكره، ص 83.

[3] عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص ص 73- 74.

[4] هلايلي حنيفي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سبق ذكره، ص 175.

[5] عمار بوحوش، مرجع سبق ذكره، ص 74.

2. العوامل المؤثرة في المجتمع الجزائري

بعد أن تعرفنا على فئات المجتمع الجزائري الذي عرف نموا ديمغرافيا و عمرانيا واسعا. يمكن إرجاع هذا النمو إلى عدة عوامل منها:[1]

أولا: إرتفاع عدد الوافدين من العثمانيين و الأندلس؛

ثانيا: مصاهرة الأهالي للوافدين، أدى إلى ظهور عنصر جديد هو المتمثل في الكراغلة، و قد لوحظ أن عددهم عرف ارتفاعا كبيرا في أواخر القرن 10 ه/ 16 م؛

ثالثا: تزايد نشاطات البحرية الجزائرية، قد ساهم في جلب عدد كبير من الأسرى المسيحيين، الذين قدر عددهم في تلك الفترة بحوالي خمسة و عشرين ألف أسير؛

رابعا: توافد العناصر السودانية، نتيجة الاتصالات التجارية بين الجزائر و السودان الغربي؛

خامسا: قلة انتشار الأمراض و الأوبئة، انتعاش الاقتصاد، قد ساعد على تحسين الأحوال الاجتماعية و الصحية للسكان.

ثانيا: الأوضاع الثقافية

إن وضع الثقافة في الجزائر لم يكن يختلف كثيرا عما كان سائد في العالم العربي و الإسلامي. و ذلك أن العلماء الجزائريين كانوا يتمتعون بسمعة طيبة كما سمحت لهم غزارة علمهم بفرض وجودهم في الحواضر الثقافية الإسلامية.[2] فقد أدرك الجزائريون أهمية التعليم و دوره في المجتمع لذلك كانوا حريصين على تعليم أبناءهم.[3]

كما تمثلت مظاهر الثقافة في الجزائر خلال العهد العثماني بالتعليم و مؤسساته، فإذا نظرنا إلى التعليم كان يعتمد على المعارف العامة و الثقافة التقليدية.و من هنا توجب علينا التطرق إلى التراث الثقافي في الجزائر العثمانية.

---

[1] أرزقي شويتام، مرجع سبق ذكره، ص ص 107- 108.

[2] أرزقي شويتام، نرجع سبق ذكره، ص 489.

[3] نفسه، ص 480.

1. الأوقاف

كان للأوقاف في الجزائر تأثير مباشر على مختلف أوجه الحياة، و قد أماكن مردودها من الإنفاق على القائمين بشؤون العبادة و التعليم من أئمة و مدرسين و طلبة، كما أصبح من الميسور يد حاجة الفقراء و المعوزين من عوائدها، هذا مع العلم بان الأنظمة الخاصة بالأوقاف و الأحكام المتعلقة بها ساعدت كثيرا على الحد من مظالم الحكام و تعسفهم و عملت في نفس الوقت على تماسك الأسرة الجزائرية بحفظ ثرواتها من أموال و عقارات و إيجاد طرق ملائمة لاستغلال مصادر رزقها عملا بأحكام الشريعة الإسلامية بالوقف الأهلي (الذري أو العائلي).[1]

أ. تعريف الوقف

لغة: هو خلاف الجلوس، وقف بالمكان (بفتح القاف) وقف (بسكون القاف) و وقوف، فهو واقف، و الجمع وقف (بضم الواو، يكون القاف)، و يقال توقفت دابة نقف وقوفا، وقفتها أنا واقفا، و وقف البداية جعلها تقف.[2]

اصطلاحا: هو قطع التصرف في رقبة العين التي يدوم الانتفاع بها و صرف المنفعة لجهة الغير.[3]

شرعا: هو حبس الأصل و تسييل المنفعة، أي حبس المال و صرف منافعه في سبيل الله، و لهذا التعريف أصل في الحديث الشريف:" عن سفيان بن عبد الله بن عمر بن حفص العملي عن ندافع عن عبد الله بن عمر أن عمر بن خطاب ملك مائية سهم من خيبر، فأتى رسول الله صلى الله عليه و سلم، فقال: يا رسول الله إني أصلا مالا لم أصبح مثله، و قد أردت أن أتقرب به إلى الله عزوجل فقال: حبس الأصل و سبب

---

[1] ناصر الدين سعيدوني: **دراسات تاريخية في الملكية و الوقف و الجباية– الفترة**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2001، ص ص 229– 254.

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط1، مج 15، 1988، ص 373.

[3] محمد أبو زهرة: **محاضرات في الوقف**، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، 1972، ص 7.

الثمرة".[1] يقوم الوقف على مبدأ شرعي و على صيغة قضائية ملزمة، فالقاضي عادة هو الذي يقوم بكتابته بصيغة معينة و بحضور الواقف و الشهود مع تحديد قيمة الوقف و تعيين أغراضه و كيفية الاستفادة منه و انتقاله و عوامل نكون و تخصيص المشرفين عليه و شروطهم، مع ذكر تاريخ الوقف و توقيع اليهود و القاضي.[2]

يعتبر الوقف من مظاهر الحياة العربية الإسلامية لأنه يستمد وجوده و استمراره من الأحكام الشرعية و من تكافل الفرد في المجتمع استجابة لحاجياته و لحاجيات الجماعة معا.[3]

كانت الأوقاف عبارة عن مؤسسة مركزية في المجتمعات الإسلامية التي ساهمت في مختلف الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية و السياسية و العمرانية.[4] كما أنه يوجد تباين في النظرة إلى الوقف بين كل من الحماية و المالكية، فالمذهب المالكي الذي يتمسك بعد غالبية الجزائريين كان يرى ضرورة صرف الحبس على المصلحة العامة التي حبس من أجلها مباشرة دون قيد أو تردد، بينما المذهب الحنفي الذي كانت تنتسب إليه الكافية التركية و جماعة الكراغلة و بعض الحضر بالمدن الكبرى في الجزائر كان يسمح بجواز انتفاع الموقف و عقبه بما حبسه من وقف.[5]

و تلك التسهيلات التي قدمها المذهب الحنفي هي ما دفعت غالبية الجزائريين إلى تحبيس أملاكهم حسب أحكام المذهب الحنفي حتى يتمكنوا من الانتفاع بها هم و عقبهم من بعدهم مع كونهم من أتباع المذهب المالكي، و هذا ما تؤكده أغلب الوثائق الشرعية الخاصة بالوقف التي تعود إلى العهد العثماني[6] و يذكر حمدان موجة في كتابها المرآة

---

[1]محمد البشر الهاشمي مغلي: **التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري و دوره المقام للإحتلال الفرنسي**، مجلة المصادر،ع 6، دت، ص 157.

[2]أبو قاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص ص 227- 228.

[3]أبو قاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، عرض الباحث.

[4]عبد الجليل التميمي: **سجل صالح باي للأوقاف 1771- 1792م**، تح: فاطمة الزهراء قشي، دار بناء الدين النسر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2009، ص 9.

[5]هلايلي حنيفي، مرجع سبق ذكره، ص 196.

[6]نفسه، ص 197.

:" أن الفقهاء بالجزائر قد أجمعوا على العمل بمقتضى المذهب الحنفي الذي يجيز حسب الهبات المشروطة و ذلك ليكثروا من مردود الهدايا لصالح الفقراء".[1]

ب.**أهمية الوقف**

تتمثل أهمية الوقف فيما يلي:[2]

أولا: مصدر عيش للزوايا و الأضرحة و غيرها من المؤسسات الدينية؛

ثانيا: مصدر الحياة و النمو المستجدة و المدارس و الكتاتيب و معيشة العلماء و الطلبة؛

ثالثا: تضامن المجتمع و ترابطه و توزيع ثرواته على فقرايه و العجزة منه كما أظهر تضامن فران معينة كالأشراف و أهل الأندلس؛

رابعا: التاثير الدينية و السياسي خارج الحدود كإرسال النقود سنويا إلى فقراء مكة و المدينة مع ركب الحج.

ت.**كيفية الانتفاع بالوقف**

فقد كان يتم استغلال و الانتفاع بالحبس لفائدة العقب إذا كان وقفت أهليا، أو لمصلحة عامة، إذا كان الوقف خيريا، فتراعى فيه الأحكام الشرعية التي ترى في صيغة الوقف صفة اللزوم و الديمومة، بحيث لا يمكن التراجع فيه أو إلغاؤه أو تحويله إلى منفعة أخرى، لذلك لا نحبو الأحيان الشرعية بيعه أو إعارته أو رهنه،[3]كما أن الوقف الخيرية منذ إنشائه كان على المساجد و الزوايا و الأضرحة و غيرها، و كان محصورا للغاية. و من ثم كان الحكام و الوجهاء يقفون لصالحها منذ الوهلة الأولى لأجل صيانتها و دوام صيرورتها لضمان تأدية وظائفها الدينية و الثقافية.[4]

---

[1]حمدان بن عثمان خوجة، مرجع سبق ذكره، ص 270.

[2]أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 231.

[3]هلايلي حنيفي، مرجع سبق ذكره، ص 197.

[4]نفسه، ص 198.

كما أن الوقف الأهلي(الذري) كان يؤسس بهدف الحفاظ على الممتلكات و صيانتها للحيلولة دون تفتيتها و ضياعها أو مصادرتها جراء التغريم، يجعل الاستفادة من المرجع الأخير أي جهة البر أو مصادرتها جراء التغريم، يجعل الاستفادة من المرجع الأخير أي جهة البر و الخير التي يحددها الواقفون، لا تتأتى إلا بعد انتهاء الأجل المفروض الوقف، وفق الشروط الواردة في رسوم الوقفيات لأنه يجب العمل بها و اتباعها، لأن عقود التحبيس تتضمن شروطا عديدة حول مستر الغبار المحلي و حول الاطراف المستفيدة منه و حول كيفية الانتفاع و تحديد المرجع و من ثم فإنه ينقضي وقت طويل بين تاريخ تأسيس الوقف الذري و تاريخ رجوعه إلى جهة البر و الخير.[1]

ث.**مؤسساته:** و من أشهر مؤسسات الوقف ما يلي:

1. **مؤسسة الوقف الجماعية – إدارة سبل الخيرات الحنفية:** و كانت مؤسسة شبه رسمية فهي كانت تشرف على جميع الأوقاف المتعلقة بخدمة المذهب الحنفي من زوايا و مدارس و مساجد و موظفين و فقراء، فقد كانت تقبل الأوقاف الموجهة لخدمة الفقراء و العلماء و الطلبة و العجزة، كما كانت تقوم بإنشاء المؤسسات الجديدة لنفس الغرض و تشرف عليها و توجهها و تنميها.[2] تضم أوقاف سبل الخيرات جميع المساجد الحنفية و عددها 14 مسجدا.[3]

2. **أوقاف مكة و المدينة:** و تعرف أيضا بأوقاف الحرمين الشريفين، قدرها ألبير دوفولكس بنحو 1558 وقفية[4] ما بين سنتي 1803– 1814 م منها 74 منزل و 76 مخزن، فكان هذا النوع من الأوقاف له أهمية سياسية أيضا، فقد كانت تمثل الوجه

---

[1] هلايلي حنيفي، مرجع سبق ذكره، ص ص 197– 198.

[2] أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 237.

[3] نوال سقاي، شريفة يوسف عشيرة : **الحياة الإجتماعية و الثقافية في مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني**، مذكرة لنيل شهادة التعليم الأساسي، تخصص تاريخ و جغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة في الأدب و العلوم الإنسانية– بوزريعة، 2007–2008، ص 44.

[4] هلايلي حنيفي، مرجع سبق ذكره، ص 211.

السياسي للجزائر في العالم الإسلامي لأن عوائدها كانت تذهب إلى فقراء مكة و المدينة ثم المحتاجين بالجزائر و كذلك لعتق الأسرى المسلمين.

3. **أوقاف الجامع الكبير:** تعتبر أوقاف الجامع الكبير من المؤسسات الغنية في المجتمع الجزائري، و هي لذلك كانت وسائل للنفوذ و الإثراء لمن يتولى وكالتها من العلماء.[1]

4. **مؤسسة أوقاف أهل الأندلس:** فهي تحتوي على العديد من الأوقاف و تضم جماعة الأشراف بمدينة الجزائر نحو 300 أسرة و طريقة تسيير تلك المؤسسات الخيرية كثيرة، حيث أنها لا تحظى إلا بتأييد الرجال الطيبين و المشرعين في جميع البلدان و كان هدفها الإنساني يرمي إلى التخفيف من الآلام و المساهمة في إسعاد المجتمع، و تخفيف الجنوح لأن البؤس يؤدي إلى القيام بأعمال شريرة. و من جهة ثانية كانت مؤسسة الأوقاف تتولى دفن الفقراء المسلمين و توزيع الصدقات على حوالي مائتي فقير كل يوم خميس، و كان اليهود يستغلون الأوقاف عن طريق الكراء و نحوه.[2]

5. **أوقاف مؤسسة بيت المال:** تعتبر مؤسسة بيت المال من التقاليد العريقة في الإدارة الإسلامية بالجزائر التي تدعمت في العهد العثماني و أصبحت تتولى إعانة أبناء السبيل و اليتامى و الأسرى، و تتصرف، في الغنائم التي تعود للدولة كشؤون الخراج و تحرص على شراء العتاد و اقامة المرافق العامة من طرق و جسور و تشييد أماكن للعبادة من مساجد و زوايا، و تهتم بالأملاك الشاغرة التي ليس لها ورثة فتضعها تحت تصرف الإدارة و الخزينة العامة باعتبارها أملاكا للجماعة الإسلامية بما في ذلك

[1] أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 243.

[2] نوال سقاي، شريفة يوسف عشيرة، مرجع سبق ذكره، ص ص 44- 45.

الشركات و أملاك الغائبين و بعض الأملاك الخيرية مثل دفن الأموات و الفقراء و أبناء السبيل و منح الصدقات للمحتاجين.[1]

ج. **أسباب إنتشارها:** و حسب الأستاذ سعيدوني ترجع كثرة انتشارها إلى الأسباب التالية:[2]

أولا: ميل السكان إلى التدين و التقشف، و نلمس ذلك في إتباع الطرق الصوفية و الزوايا و التنافس على فعل الخير و ذلك ما ورد من عبارات في وثائق الوقف:" قصد بذلك وجه الله العظيم و رجاه ثوابه الجسيم إن الله يجزي المتصدقين و لا يضيع أجر من أحسن عملا"؛

ثانيا: الوضع الأمني الذي عاشته البلاد آنذاك من الهجمات و الإعتداءات خارجية و الإضطرابات الداخلية المتتالية، و تزايد الكوارث الطبيعية و استخدام الباشوات للدين بغرض إحكام سيطرتهم على السكان، فلجأوا إلى وقف الكثير من ممتلكاتهم لإظهار التقوى و التقرب من رجال الدين، و قد يكون خوف هؤلاء من مصادرة أملاكهم دافعا لذلك.

و صفوة القول فإن الوقف يعتبر من أهم مظاهر الحضارة الإسلامية فهو يعبر عن إدارة الخير في الإنسان المسلم و إحساسه العميق بالتضامن مع المجتمع الإسلامي.

2. المساجد و الزوايا

كثيرا ما يختلط على الباحث اسم المسجد و الزوايا، ذلك لأن بعض الجوامع و المساجد كانت تابعة لزوايا معينة، كما أن بعض الزوايا كانت تابعة لجوامع و مساجد معينة، فالتداخل ليس في الاسم فحسب، بل حتى الوظيفة، فالمساجد كانت للعبادة و

---

[1] ابراهيم عبو : **العلوم النقلية في الجزائر خلال العهد العثماني 10- 13 ه/ 16- 19 م**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه، تخصص تاريخ حديد و معاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة جيلالي ليابس- سيدي بلعباس، 2017- 2018، ص 85- 86.

[2] نفسه، ص 77.

التعليم، كما أن الزوايا كانت كذلك أحيانا، و لكن في الغالب كانت رباطا أو ملجأ أو مسكنا للطلبة و الغرباء و مركزا لتلقين الأذكار و استقبال المردين.[1]

1. المساجد

كلمة المسجد في المعنى اللغوي مأخوذ من مادة " السين و الجيم و الدال "، و من فعل سجد، سجود أيوضع جبهته على الأرض.[2]

كما عرفه ابن منظور:" سجد بمعنى خضع، و منه سجود الصلاة و الخضوع أعظم منه، و المسجد بكسر السين المهملة يطلق على الحصير الصغير".[3]

يعتبر المسجد منارة العلم و الحضارة و مكان للعبادة و مجمع المسلمين و منشطهم و مركزا أساسيا للحياة الدينية و العلمية و الثقافية، و هو قلب القرية و الريف و روح الحي في المدينة، إذ حوله كانت تنتشر المساكن و البيوت و الأسواق و الكتاتيب.[4]

و عليه فالمسجد هو مؤسسة دينية للعبادة و التعليم و نشر العلم بالإضافة إلى تمتين الروابط الاجتماعية و مناقشة و حل قضايا المجتمع وفق مبادئ الشريعة الإسلامية السمحة، و قد كان بناء المساجد يتم في بعض الأحيان من طرف المبادرات الفردية، لأن الدولة تول الاهتمام لهذا الشأن باستثناء بعض الحكام الذين قاموا ببناء مساجد و أوقفوا لها من مالهم الخاص.[5]

و تشير المصادر التاريخية أن عدد المساجد مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 م بلغ حوالي 13 جامع رئيسي و أكثر من 109 مسجدا منها أكثر من 24 مسجدا تابعا للمذهب الحنفي، و من بين المساجد المنتشرة في بقية الأقاليم كان يوجد في عنابة 37 مسجدا و جامع و في مدينة تلمسان أكثر من 50 مسجدا و جامع تتميز

---

[1] حمدادو بن عمر: **واقع الحياة الثقافية و الفكرية أواخر العهد العثماني ببايلك الغرب**،

[2] ابراهيم عبو، مرجع سبق ذكره، ص 36.

[3] ابن منظور: **لسان العرب**، بولاق، ط 18، ج4، 1900، ص 187.

[4] أبو قاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، عرض الباحث.

[5] رشيدة شدري معمر : **العلماء و السلطة العثمانية في الجزائر**، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير، تخصص تاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007، ص 76.

بطابعها الأندلسي، و في المدية كان بها 11 مسجدا منها جامع سيدي المزاري الذي بناه مصطفى بومرزاق آخر بايات التيطري.[1]

من المساجد الكثيرة التي كانت بمدينة الجزائر و بقي منها إلى الآن ما يلي ذكره:[2]

1. **الجامع العظيم:** و يسمى بالجامع الكبير و هو أعظم مسجد للعاصمة و مساحته

نحو مائتي متر مربع، و هو للمالكية إذ قبل نزول الأتراك بالجزائر لم يكن مسجد للحنفية، و تم تشييده عن ما يزيد بكثير عن تسعة قرون؛

2. **جامع كتشاوى (كتشاوة):** مسجد حنفي بنوه في السنين الأولى من القرن الحادي

عشر الهجري و السابع عشر الميلادي، و الداي بابا حسن باشا أعاد بناءه و زاد في توسعه سنة 1209 ه/ 1795 م، و بعد أن كان كنيسة فهو الآن من مساجد العاصمة بعد بعض الإصلاحات و التغييرات؛

3. **جامع سافير:** هو من المساجد العتيقة بمدينة الجزائر في حي الجبل، شاده القائد

صفر بن عبد الله من ماله الخاص، و كان من أعيان المدينة و كانت له معرفة باللغة العربية، و دام بناؤه من شهر رجب من سنة 940 ه إلى اليوم الثاني من ربيع الأول من سنة 941 ه يعني أنه تم في مدة تسعة أشهر و توجد كتابة في أعلى الباب الكبير لهذا المسجد و ها هو نصها بعد البسملة: " الحمد لله الذي رفع السماء و بسط الأرض و فضل بقاعها بعضا على بعض، و جعل بقاعها تؤدي فيها النفل و الفرض و الصلاة و السلام على محمد الشفيع في يوم العرض و سلم تسليما، و بعد فهذا مسجد عظيم و مقام كريم أسس على التقوى بناؤه و ارتسمت السعادة و التوفيق أرجاؤه و أركانه "؛

---

[1] مصطفى بن عمار: **الصراع على السلطة عهد الدايات (1671- 1830)**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص تاريخ حديث و معاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010، ص 50.

[2] نور الدير عبد القادر:**صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي**، دار الحضارة، الجزائر، دط، 2006، ص ص 155- 169.

4. **مسجد القصبة البّراني:** يعني خارج القصبة و هي القصبة الجديدة التي شرع في

تشييدها عروج بعد استقراره بمدينة الجزائر و أقامت بها طائفة من الجند إلى أن انتقل إليها الداي علي خوجة 1817– 1818 م، و هو مسجد صغير مقابل لباب القصبة و له منارة قليلة الارتفاع، و كان في حالة بالية و قدم فجدده حسين داي و وسعه، و كان يصلي فيه موظفو القصبة و غيرهم؛

5. **جامع سيدي بوقدور:** مسجد صغير للصلاة و هو مدرسة قرآنية من قديم الزمان

و بناؤه يرجع إلى أواسط القرن العاشر الهجري، و موقعه بنهج كوشة الخندق في حومة الجبل.

2. الزوايا

للزوايا رسالة سامية، و مهمة نبيلة، و عمل شريف يتمثل في المحافظة على الإسلام في هذه العربية الديار، و الحرص على صيانة عقيدة المسلم و حمايتها من الزيغ و الانحراف بواسطة نشر الوعي الديني في أوساط الجماهير في المدن، و القرى، و الجبال، و التركيز على تعليم القرآن الكريم و تحفيظه و العناية بدراسة العلوم الإسلامية و اللغوية. بالإضافة إلى ما تقوم به من خدمات اجتماعية كإطعام الفقراء و المساكين و ابن السبيل، و مساعدة المحتاجين و إصلاح ذات البين و غيرها من الخدمات المختلفة.[1]

أ. تعريف الزوايا

تعتبر الزوايا من أهم مميزات العصر العثماني بالجزائر، فكانت كل مدينة كبيرة أو صغيرة إلا و لها زواية، و كان من بين أهدافها و مقاصدها تعليم و تثقيف الطبقة

[1] صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها و نشاطها**، دار البصائر، الجزائر، ط خ، 2009، ص 203.

العامة المعوزة من أبناء المجتمع المتعطش و المحتاج إلى ينابيع العلم و الطبقة العامة المعوزة من أبناء المجتمع المتعطش و المحتاج إلى ينابيع العلم و المعرفة،[1]احتلت الصدارة بين مراكز الثقافة و التعليم خاصة بالأرياف.[2]

لغة: جمع زاوية، و هي مأخوذة من فعل زوى و انزوى بمعنى ابتعد و انعزل كما في كتب اللغة، و سميت بذلك لأن الذين فكروا في بنائها أول مرة من المتصوفة و المرابطين اختاروا الانزواء بمكانها، و الابتعاد عن صخب العمران و ضجيجه طلبا للهدوء، و السكون اللذين يساعدان على التأمل و الرياضة الروحية، و يناسبان جو الذكر و العبادة و هي من الوظائف الإسلامية التي من أجلها وجدت الزاوية.[3]

اصطلاحا: هي مؤسسة دينية إسلامية ذات طابع اجتماعي تتمثل في مجمعات من البيوت و المنازل مختلفة الأحجام و الأشكال، تظم بيوت للصلاة و غرف لتحفيظ القرآن احتلت الصدارة بين مراكز الثقافة و التعليم خاصة بالأرياف حيث مثلت المسجد و المدرسة في آن واحد، و هي تقوم بتعليم القرآن الكريم إضافة للفقه و العقائد و قواعد النحو و الصرف و البلاغة و الحديث، و يقوم بتأسيس هذه الزوايا في الغالب رجال الدين المتصوفة الذين يرون أن بناءها يمثل عملا خيريا لنشر الثقافة الإسلامية و المحافظة عليها.[4]

ب. خصائص الزوايا

تجمع الزوايا بين عدة خصائص يمكن أن نوجزها فيما يلي:[5]

---

[1] أبو راس الناصري: **عجائب الأسفار و لطائف الأخبار**، تح: محمد بوركبة، منشورات الشؤون الدينية و الأوقاف، الجزائر، دط، ج1، 2011، ص 47.

[2] رشيد مريخي: **ملامح الحياة الثقافية في الجزائر أواخر العهد العثماني**، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع 12، مج 5، ديسمبر 2017، ص 234.

[3] صلاح مؤيد العقبي، مرجع سبق ذكره، ص 203.

[4] أبو القاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 266.

[5] مكتبة نور: محاضرات تاريخ الجزائر الثقافي الحديث و المعاصر، https//www.noor-book.com، 2022/02/23، 13:46.

أولا: أنها جمعت بين التربية الروحية و التربية العسكرية كونها كانت تعمل على نشر الدعوة الصوفية و التحضير للجهاد؛

ثانيا: كان انتشارها كبيرا في الأرياف بسبب قلة المدارس؛

ثالثا: نهلت منها العديد من الشخصيات أمثال أبو راس الناصري، الأمير عبد القادر و محمد بن علي السوسني.

ت. أبرز الزوايا

و من أبرز الزوايا نذكر:

1. **زاوية الجامع الكبير:** شيدت هذه الزاوية سنة 1093ه/ 1629 م من طرف

المفتي المالكي سيدي سعيد بن الحاج إبراهيم، و تضم مدرسة و زاوية بها حجرات موزعة على طابقين و هي مخصصة لإيواء العلماء الفقراء و مبيت موظفي الزاوية كما يتوفر بها مراحيض عمومية و عيون ماء. تقع بالقرب من باب الجزيرة من الجامع الكبير المشتملة على مسجد دون منارة و مدرسة للصغار، كما تضم طابقين يضمان عدد من البيوت المحصصة للعلماء و عابري السبيل و الفقراء الذين لا مأوى لهم و عدة محلات للذين يعملون بالجامع الأعظم؛[1]

2. **زاوية الشيخ عبد الرحمن الثعالبي:** كانت تحتوي الزاوية على مسجد صغير له

منارة أنيقة مربعة الشكل إلى جانب قبة مثمنة الزوايا، و هو الشكل الذي استورده الأتراك إلى الجزائر، أما المحراب فإنه مزين بأجور الخزف المستورد من آسيا الصغرى و بجانبه سريتان صغيرتان من الرخام، و عدة بيوت و مرافق، و سكن لوكيل متصلة بالمسجد، كما أن حجرة ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي تحتوي على عدة قبور دفنت فيه شخصيات، و قد شيدت هذه الزاوية حوالي سنة 1696م؛[2]

[1] ابراهيم عبو، مرجع سبق ذكره، ص 64.

[2] نوال سقاي، شريفة يوسف عشيرة، مرجع سبق ذكره، ص 36.

3. **زاوية الأشراف:** تقع هذه الزاوية بزنقة الجنينة، بناها الداي محمد بكداش سنة 1121 ه/ 1709 م، و الأشراف هم الذين يثبتون بعقود قضائية ينحدرون من سلالة آل البيت و أنهم يتواجدون بمدينة الجزائر بأعداد كبيرة حتى شكلوا جماعة متميزة داخل مجتمع المدينة و لهم مؤسسات خاصة بهم، وضع هؤلاء الأشراف شروطا لها نلخصها فيما يلي:[1]

أولا: لا يسكن الزاوية إلا الشريف غير المتزوج؛

ثانيا: يستفيد من مداخيل الزاوية، الأشراف سواء كانوا رجالا أو نساء أو أطفال؛

ثالثا: كل تعيين وظيفي يتعلق بالزاوية يصدر عن جمعية الأشراف؛

رابعا: يمكن للوكيل و أفراد عائلته أن يدفن بمقبرة الأشراف؛

خامسا: ينظم الوكيل إطعاما بالزاوية في اليوم الثالث من الاحتفال بالمولد النبوي.

4. **زاوية سيدي محمد الشريف:** كان محمد الشريف من الأولياء المكرمين جدا في مدينة الجزائر، و قد كان يشرف على هذه الزاوية و على الأوقاف الكثيرة المخصصة لها وكيل بمساعدة شاوش، و كلاهما كانا من الأندلسيين تقدم مساعدات للفقراء، و المعوزين الذين تثبت نسبهم إلى جماعة الأندلسيين، و شجعتهم في ذلك السلطة و تعاطفت معهم و كان إنشاء الزاوية، أو المدرسة، أو المسجد من طرف هؤلاء الأندلسيين دافعا لتخصيص المزيد من الأوقاف لتنفق مداخيله على المشرفين تسييرها، حيث بلغت حسب بعض الإحصاءات نحو ستين مؤسسة وقف؛[2]

5. **زاوية عين الحوت:** عرفت الزاوية كمركز للعبادة و العلم بظهور دولة بني عبد الواد و نظرا لدورها الحضاري أصبحت تلقب بالأزهر الأصغر لكثرة توافد العلماء و الطلبة عليها من جميع المناطق القريبة و البعيدة، و بعد وفاة سيدي عبد الله بن منصور

---

[1] ابراهيم عبو،مرجع سبق ذكره، ص ص 64- 65.

[2] نوال سقاي، شريفة يوسف عشيرة، مرجع سبق ذكره، ص ص 37- 38.

تولى الزاوية ابنه محمد بن محمد علي بن العربي بن حموين بن عبد منصور 1160 ه/ 1761 م.[1]

6. مهام الزاوية

لقد كان للزوايا الدينية نشاطات مختلفة و متنوعة في الحياة الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية، بل و حتى السياسية بالجزائر، و هي أنها:[2]

أولا: اهتمت بتحفيظ القرآن، و نشره بصورة مكثفة في الأجيال الإسلامية المتعاقبة، و عمقته بين مختلف الطبقات الاجتماعية، و ساعد ذلك على حمايته من النسيان و الضياع؛

ثانيا: احتضنت اللغة و الثقافة العربية الإسلامية و نشرتها بشكل واسع و مكثف، و فتحت أبوابها لطلاب العلم و المعرفة، و أنفقت عليهم بسخاء، و كان ذلك شكل من أشكال مقاومة الجهل و الأمية و نشر العلم و المعرفة، و عملا ضد سياسة التجهيل التي كانت الإدارة الاستعمارية تتبعها ضد الأهالي الجزائريين؛

ثالثا: عملت على نشر الإسلام في المواطن و الأصقاع التي لم يصل إليها خاصة الأقاليم الصحراوية النائية، كما فعلت التيجانية و السنوسية؛

رابعا: عملت على إزالة الفوارق الاجتماعية بين فئات المجتمع، فجمعت تحت لوائها بين الأغنياء، و الفقراء ، و العلماء و الأميين، و شرفاء الأصل، و غيرهم، و جمعت بينهم في بوثقة واحدة و ألفت بينهم جميعا؛

خامسا: لعبت دورا بارزا في إنهاء الخلافات و الخصومات بين مختلف الفئات و الطبقات الاجتماعية، و ذلك بفضل مركز شيوخها، و مقدميها، و وكلائها، فكانت الحكم

---

[1] ابراهيم عبو، مرجع سبق ذكره، ص 66.

[2] سعيد بوزرينة : **تاريخ الجزائر الثقافي الحديث و المعاصر – 1**، محاضرات موجهة لطلبة السنة الثانية ليسانس، تخصص تاريخ عام، قسم العلوم الإنسانية، معهد العلوم الإنسانية و الاجتماعية، المركز الجامعي نور البشير– البيض، ص ص 60–62.

بين الناس، فقللت من المشاكل و تمتع المجتمع الجزائري بنوع من الاستقرار النفسي و الخلقي، و ساعده ذلك على التفرغ لمقاومة السيطرة الأجنبية الاستعمارية؛

سادسا: إضافة إلى التكافل الاجتماعي فإن هناك تكافل اقتصادي بين الأسر و القبائل و العشائر، في مشاريع كبرى كالحرث، و الحصاد، و الجني، و البناء، و الرعي، الرحي، جمع العلف اليابس لها، و كانت الزوايا تنفق بسخاء على كل الأعمال من خلال العائدات و المداخيل و الموارد المالية للطرق الصوفية و المرابطين التي تأتيها من موارد مختلفة.

و في مستخلص القول فإن الزوايا في الجزائر كانت لها مساهمة فعالة و دور ريادي في بناء الشخصية الوطنية الجزائرية و إبراز ثوابها و مقدساتها، و في هذا الشأن تقر بعض الدراسات على أن الزاوية هي التي حفظت لهذه الأمة المسلمة قرآنها و لغتها و دينها، و أخلاقها الإسلامية أمام المشاريع الإستدمارية الهادفة إلى طمس مقومات الهوية الوطنية، هذا إلى جانب دورها الجهادي إذ ما من ثورة أو انتفاضة أو مقاومة خلال القرن التاسع عشر الميلادي إلا و هو مقرون باسم شيخ زاوية.

3. المدارس العلمية

أ. تعريفها:

هي مؤسسة للتعليم بجميع مستواها بين الثانوي و العالي و تتعدد تخصصاتها بين العلوم الشريعة و بعض العلوم العقلية إن وجد من يدرسها لمعرفة علوم الفرائض و المنطق لبناء العقيدة على البراهين أما علوم الطب و الفلك كانت ناذرة،[1] و قد عرفها أبو راس الناصري بأنها:" المدرسة التي أعدت لدراسة العلم أي تعليمه و تعلمه ".[2]

و يرى المقيزي في أصل المدرسة الإسلامية أن التعليم كان مقتصرا على المساجد فجاءت المدرسة لإعطاء دفع للحركة العلمية و الثقافية تشرف عليها الدولة و تتولى

[1] ابراهيم عبو،مرجع سبق ذكره، ص 48.

[2] أو راس الناصري، مرجع سبق ذكره، ص 156.

أعباء مصاريف الطلبة الوافدين عليها و إيوائهم و تتكفل بأجور المعلمين و القائمين على شؤونها المختلفة[1].

و حقيقة الأمر أن الجزائر خلال العهد العثماني عرفت انتشارا واسعا للمدارس،[2] مع تباين عددها و أهميتها فقد أصبحت تدرس فيها مختلف العلوم العصرية كالفقه و الحديث و التفسير و اللغة و التاريخ....الخ و تم تزويدها بمرافق لأداء وظيفتها مع توقيف دكاكين و حدائق و تجهيزها بخزائن من الكتب و المخطوطات التي لا تقدر بثمن.

يجري نظام التعليم في هذه المدارس على قبول طلبة غرباء عن المدينة ثم تجري لهم منحة يتقاضونها في شكل مواد غذائية و يلازمون الدروس إما متخصصين في علم واحد أو مشاركين في عدة علوم و يكونون مع طلبة المداومين من أهل المدينة طائفة الطلبة الرسميين و حلقات الدروس المفتوحة مع هذا لكل من يريد أن يكتسب معارف دون قصد الإجازة للتدريس أو التوظيف.[3]

و يذكر البعض أن مدينة الجزائر كانت تتوفر على ثلاث مدارس للمذهب المالكي و كان من أهداف المدرسة في ربوع الوطن الجزائري و تحفيظ القرآن الكريم إلى جانب تعليم مبادئ القراءة و الكتابة و بعض العلوم الأخرى كالحديث و النحو و اللغة و الفقه و التوحيد و استكمال هذه الدراسات بعلم الحساب و قراءة المؤلفات الطبية.[4]

---

[1] ابراهيم عبو، مرجع سبق ذكره، ص 48.

[2] رشيدة شدري معمر، مرجع سبق ذكره، ص 58.

[3] ابراهيم عبو، مرجع سبق ذكره، ص ص 48- 49.

[4] أبو راس الناصري، مرجع سبق ذكره، ص 48.

ب. أهم المدارس في الفترة العثمانية

من أهم المدارس في دولة الجزائر العثمانية نذكر ما يلي:

1. مدرسة مازونة:

كانت مدرسة مازونة على درجة كبيرة من الأهمية في النواحي الغربية من البلاد و كان لها نظام راسخ و تقاليد متينة استمدتها من صلتها بالتعليم في تلمسان و الأندلس و المغرب الأقصى.

كما أنها من أقدم المدارس التي أسست في العهد العثماني و قد اشتهرت بالخصوص في الفقه و الحديث و علم الكلام. و استمرت المدرسة تشع بالمعرفة حتى بعد انتقال العاصمة الاقليمية من مازونة إلى معسكر ثم إلى وهران و كانت مقصد طلاب النواحي الغربية و لاسيما مستغانم و تنس و تلمسان و وهران.[1]

2. مدرسة المحمدية:

أسسها محمد الكبير فاتح وهران[2] بالغرب الجزائري و التي كان لها صدى واسع في العالم العربي و الإسلامي.

تعتبر هذه المدرسة أكبر معهد علمي يضم أساتذة كفاء متفرغين لمهنة التعليم لا غير إجانب الآلاف من الطلبة و التلاميذ الذين سارعوا إلى الإقبال على العلم بلهف شديد[3] و

[1] أبو قاسم سعد الله، مرجع سبق ذكره، ص 285.

[2] نفسه، ص 281.

[3] حمدادو بن عمر، مرجع سبق ذكره، ص 28.

جاء في قول مادح الباي و مؤلف سيرته ابن سحنون بأن المدرسة كاد العلم أن ينفجر من جوانبها.[1]

3. مدرسة القيطنة:

تأسست هذه المدرسة بمنطقة القيطنة بالقرب من بوحنيفية حوال سنة 1200 ه/ 1787 م على يد مصطفى بن المختار بعد رجوعه من بغداد و كانت هذه المدرسة من المدارس التعليمية الهامة في الجزائر حيث جمعت بين كل مراحل التعليم من أدنى مرحلة حتى أعلاها كما كان بها ست حلقات تعقد لجلسات العلم بمعية عدة أساتذة و كانت تضم عددا كبيرا من الطلاب يتراوح عددهم ما بين 700 و 1800 طالب علم دائمي الدراسة مع العلم بأن عدد الطلاب في كافة أنحاء الجزائر كان هائلا حول العلماء.

و قد تطورت المدرسة تطورا كبيرا و أصبحت تلقب بـــ " معهد القيطنة " نظرا لتوافد الطلبة و العلماء عليها. و من العلماء الذين درسوا بها أبوا راس الناصر و هذا ما يدل على علو همتها بدليل قوله:" فذهبت للقيطنة و قد اجتمعت جموع من الطلبة ".[2]

و بناءا على ما سبق يمكننا استنتاج أن الثقافة بالجزائر في الفترة العثمانية تمحورت حول المؤسسات الثقافية المتمثلة في: المساجد و الزوايا و الأوقاف و المدارس العلمية أي أن التعليم في الجزائر شملت جميع المؤسسات سابقة الذكر إلا أن في هذه الفترة اقتصر التعليم على الذكور دون الإناث و ذلك لأنهم لم يولوا الاهتمام الكامل بترقية المرأة و تعليمها و لذلك كانت بعض العائلات الميسورة تستأجر المدرسين و تعهد إليهم

---

[1] أحمد بن سحنون الراشدي: **الشعر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح: المهدلي البوعبدلي، مطبعة البعث، قسنطينة، الجزائر، دط، 1973، ص 127.

[2] حمدادو بن عمر، مرجع سبق ذكره، ص ص 30- 31.

بتأديب بناتهم لأن العوائد في الوسط الجزائري وقتئذ لم تسمح للبنات بالإختلاط و لم تكن هناك مدارس خاصة بتعليم البنات.[1]

[1]أحمد مريوش: **كفاح المرأة الجزائرية– مكانة المرأة في التراث الجزائري ما بين 1900– 1954 م**، الملتقى الوطني الأول حول كفاح المرأة، المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954 م، الجزائر، 1998، ص 57.

الفصل الأول:

الكتابة التاريخية للجزائر في الفترة العثمانية

إن التدوين التاريخي في الجزائر خلال العصر العثماني يتطلب دراسات متعددة و متكاملة لا تخلو من صعوبات منهجية و مسائل علمية تحتاج إلى الكثير من التحليل و التقويم. و لعل ما يتبادر إلى ذهننا كباحثين في الحركة العلمية بالجزائر هو ندرة المراجع التاريخية المعاصرة للعصر العثماني، فأغلبها مازال مبعثر في المكتبات الجزائرية و العربية الإسلامية، و الأوروبية. لقد أهتم العديد من الباحثين و المؤرخين بالفترة العثمانية في الجزائر لما تعرضت له من طمس و تهميش طيلة الاحتلال الفرنسي، فبرغم من طول مدتها التي تجاوزت ثلاثة قرون من الزمن، و رغم ما عرفتها من إنجازات سياسي و عسكرية، جعلت الجزائر تكون محورا هاما في العلاقات الدولية بمنطقة البحر المتوسط، فإن الفرنسيون اعتبروها عهدا للاستبداد و الظلم.

و عليه سنتطرق إلى نشأة الكتابة التاريخية عند ابن خلدون و منهج الكتابة التاريخية عند الجزائريين و الغربيين بالإضافة إلى القيمة التاريخية لهذه الكتابات لتلك الفترة.

المبحث الأول: نشأة الكتابة التاريخية (ابن خلدون)

1. تعريف الكتابة التاريخية

أ. تعريف الكتابة

لغة: هو من الكتب، و هو الجمع، و هو مصدر سمى به المكتوب مجازا، كالخلق بمعنى المخلوق. يقال: كتبت كتبا و كتابة، و الكتب: الجمع، و منه: الكتيبة، واحدة: الكتائب، و هو العسكر المجتمع. تكتب: تجمع، و قبل: هي العسكر الذي يجمع فيه ما يحتاج إليه الحرب. و منه: كتبت الكتاب؛ أي جمعت فيه الحروف و المعاني المحتاج إليها من شرح الحمامة.[1]

[1] ظافر بن حسن آل جيعان: **الدعوة إلى الله بالكتابة**، دار الجبين، ط1، 1433 هـ، ص 11.

اصطلاحا: رأى ابن خلدون في مقدمته الخط، و الكتابة من عداد الصناعة الانسانية و هو رسوم و أشكال حرفية تدخل الكلمات المسموعة العدالة على ما في النفس، فهو ثاني رتبة من الدلالة اللغوية، و هو صناعة شريفة إذ الكتابة من خواص الإنسان التي تميز بها عن الحيوان، و أيضا فهي تطلع على ما في الضمائر و تتأذى بها الأغراض إلى البلد البعيد، فتقتضي الحاجات، و قد دفعت مؤونة المباشرة لها و يطلع بها من العلوم و المعارف و صحف الأولين، و ما كتب ه من علومهم و أخبارهم، فهي شريفة بهذه الوجوه و المنافع، و خروجها من الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم.[1]

و عليه فالكتابة هي إحدى مهارات اللغة العربية و هي عبارة عن عملية عقلية يقوم الكاتب بتوليد الأفكار و صياغتها و تنظيمها ثم وضعها بالضرورة النهائية على الورق.

ب. تعريف التاريخ

يقول عبد الرحمن بن خلدون:" أعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية إن هو يوقفوا على أحاول الماضين من الأمم في أخلاقهم و الأنبياء في سيرتهم، و الملوك في دولهم و سياستهم، حتى تتم فائدة الإقتداء في ذلك لكن يرومه في أحوال الدّين و الدنيا فهو محتاج إلى مآخذ متعددة و معارف متنوعة و حسن نظر و تثبت يفضيان بصاحبهما إلى الحق و ينكبان عن المزلات و المغالط؛ لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل و لم تحكم أصول العادة و قواعد السياسة و طبيعة العمران و الأحوال في الاجتماع الإنساني، و لا قيس الغائب منها بالشاهد، و الحاضر بالذّاهب، فربّما لم يؤمن فيها من العثور، و مزلة القدم و الجيد عن جادّة في الصّدق، و كثيرا ما وقت للمؤرخين و المفسرين و أئمة النقل المغالط في الحكايات و الوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل عثّا أو سمينا، لم يعرضوها على أصولها و لا قاسوها بأشباهها، و لا

[1] أبو عبد الله السعيد مندورة: **مقدمة ابن خلدون**، مؤسسة الكتب الثقافية، مكة المكرمة، ط1، مج 2، 1994، ص 87.

سبروها لمعيار الحكمة، و الوقوف على طبائع الكائنات، و تحكيم النظر و البصيرة في الإخبار.فضلوا عن الحقّ و تاهوا في بيداء الوهم و الغلط، و لاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال و العساكر إذا عرضت في الحكايات إذا هي مظنّة الكذب و مطيّة الهذر، و لابدّ من ردِّها إلى الأصول و عرضها على القواعد ".[1]

و من التعريفين السابقين يمكن القول أن الكتابة التاريخية تمثل عملية متجددة يمارسها كل جيل بالقدر العقلية التي وصلها و الوثائق المتوفرة لديه، و المستجدات الحضارية التي تحيط بها.[2]

2. قواعد الكتابة التاريخية عند ابن خلدون

يمكن توضيح قواعد الكتابة التاريخية عند ابن خلدون في جملة من النقاط و هي:[3]

أولا: التمييز بين جانبين فالتاريخ هما: ظاهر و باطن، فالأول عبارة عن سرد للحوادث التاريخية دون تعليل أو علم بالكيفيات، أما الجانب الثاني فهو تعمق في الأحداث و فهمها و تعليلها، حيث يقول ابن خلدون:" إذا هو ظاهرة لا يزيد على إخبار عن الأيام و الدول، و السوابق من القرون الأول... و في باطنه نظر و تحقيق، و تعليل للكائنات و مباديها دقيق، و علم بكيفيات الوقائع و أسبابها عميق. فهو لذلك أصيل في الحكمة عريق و جدير بأن يعدّ في علومها و خليق"؛

---

[1] شعيب مقنونيف: **الكتابة التاريخية عند ابن خلدون و مآخذه عن المؤرخين**، المجلة الجزائرية للبحوث و الدراسات التاريخية، ع 4، مج 2، ديسمبر 2016، ص 27.

[2] حسان مغدوري: **الكتابة التاريخية عند الباحث هلال عمار – دراسة تحليلية نقدية**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص تاريخ حديث و معاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007– 2008، ص 58.

[3] عبد الله زين: **منهج الكتابة التاريخية عند ابن خلدون**، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، مجلة دورية دولية محكمة، ع 21، دت، ص ص 235– 240.

ثانيا: ربط التاريخ بالعمران و بعلوم أخرى؛ ذلك أن المحادثة التاريخية معقدة و متداخلة مع حوادث أخرى، و لذلك تشارك على المؤرخ الاطلاع على فنون و علوم مختلفة، يقول ابن خلدون:" فإذا يحتاج صاحب هذا الفن إلى العلم بقواعد السياسة و طبائع الموجودات و اختلاف الأمم و البقاء في السير و الأخلاق و العوائد و النحل و المذاهب و سائر الأحوال، و الإحاطة بالحاضر من ذلك، و مماثلة ما بينه و بين الغائب من الوفاق أو دون ما بينهما من الخلاف "؛

ثالثا: حرص ابن خلدون على ضبط أسباب الغلط في التاريخ، و الحق على تجنبها من أجل تجنب تزييف التاريخ؛

رابعا: اعتماد ابن خلدون على جملة من مقومات الروح العلمية؛ أبرزها: الروح النقدية، المعقولية التاريخية، الموضوعية، السلبية التاريخية، الإيمان بمبدأ الحتمية.

- **النزعة النقدية:** يعني الميل إلى ممارسة النقد و التمحيص و الشك المنهجي، و هذا أبرز ما يتميز به العلماء الباحثين عن غيرهم، فهم لا يقبلون أي شيء إلا بعد إخضاعه للتمحيص و التحقق من صحته، و هذا ما سعى ابن خلدون إلى تحقيقه في اهتمامه بالتاريخ.
- **المعقولية التاريخية:** هي مجموع المبادئ و الشروط التي توضع، داخل الثقافة الاجتماعية، لأجل جعل فكرة ما أو فعل أو حدث شيئا قابلا للفهم و التعقل و الإدراك.
- **الموضوعية:** هي وصف لما هو موضوعي، و هي لوجه خاص مسلك الذهن الذي يرى الأشياء على ما هي عليه، فلا يشوهها بنظرة ضيقة، أو بتحيز خاص.

- **السببية التاريخية (التعليم التاريخي):** هي العلاقة بين السبب و المسبب، و مبدأ السببية أحد مبادئ العقل، و يعبرون عنه بقولهم: لكل ظاهرة سبب أو علة. فما من شيء إلا كان لوجوده سبب؛ أي مبدأ يفسر وجوده.
- **الحتمية التاريخية (بالمعنى النسبي):** الحتمية اصطلاح فلسفي حديث بدل على معانا عديدة أهمها:

- الحتمية بالمعنى المشخص هي القول بوجود علاقات ضرورية ثابتة في الطبيعة توجب أن تكون كل ظاهرة من ظواهرها مشروطة بما يتقدمها أو يصحبها من الظواهر؛
- الحتمية بالمعنى المجرد هي أن يكون للحوادث نظام معقول تترتب فيه العناصر على صورة يكون كل منها متعلقة بغيره، حتى إذا عرف ارتباط كل عنصر بغيره من العناصر أمكن الامير به، أو إحداثه أو رفعه.

3. أثر المنهج التاريخي الخلدوني على الكتابة التاريخية[1]

لا شك و أن المنهج التاريخي عند عبد الرحمن ابن خلدون، أهمية بالغة على الكتابة التاريخية و علم التاريخ؛ إذ نقل هذا المنهج الكتابة التاريخية من شكلها السردي الأدبي إلى شكل جديد و هو الشكل العلمي التاريخي الخلدوني على إضفاء الطابع العقلي الفلسفي على التاريخ، و يتجلى ذلك في إدخال علم العمران على التاريخ، حتى أن من الباحثين من يصنف مقدمة (العبر) على أنها كتاب في فلسفة التاريخ، و قد أشاد الكثير من الدارسين سواء كانوا عربا أن غربيين لأفكار ابن خلدون في المقدمة؛ مثل: آرنولد توينبي.

رغم ما قدمه ابن خلدون من مساهمة الفكر التاريخي، إلا أنه قد أوخذ عليه أنه لم يستطع تطبيق المنتج الذي رسمه للمؤرخين في " المقدمة "، كما أنه لم يستخدم الطريق

[1] عبد الله زين، مرجع سبق ذكره، ص ص 240- 241.

التي نصح بها المؤرخين لتمييز صحيح الأخبار من فاسدها، بل ثبت عن ابن خلدون أنه نقل روايات ضعيفة ليس لها سند موثوق به، و هذا ما دعا المؤرخ الإنجليزي " روبرت فلنت " إلى القول بأن:" إذا نظرنا إلى ابن خلدون كمؤرخ وجدنا من يتفوق عليه من كتاب العرب أنفسهم، و أما كواضع لنظريات التاريخ، لأنه منقطع النظير في كل زمان و مكان ".

المبحث الثاني: منهج الكتابة التاريخية الفترة العثمانية

سعت الجزائر بعد الاستقلال إلى إعادة كتابة تاريخها، كتابة علمية موضوعية، هادفة من وراء ذلك إلى التخلص مما ألصقه الاستعمار طيبة قرن و اثنين و ثلاثين عامة بهذا التاريخ من أباطيل و أكاذيب، غايته من ورائها منح وجوده في البلاد صبغة شرعية و فصل الشعب الجزائري عن مقوماته و أصالته و انتمائه العربي الإسلامي.

فقد تعرضت الفترة العثمانية للطمس و التهميش من الاحتلال الفرنسي لذلك قمنا بدراسة ما أنتجه المؤرخون الجزائريون من دراسات ، سعوا من خلالها إلى إصلاح تلك النظرة و الأحكام السلبية الموروثة عن المدرسة الاستعمارية.[1]

1. منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين

أ. منهج الكتابة التاريخية عند مبارك الميلي

يعتبر منهج الشيخ مبارك الميلي في كتابة تاريخ الجزائر من أبرز مناهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في الفترة المعاصرة و الذي كان له الفضل في تدوين تاريخ الجزائر عبر العصور و أصبح بذلك أحد رموز المدرسة التاريخية الجزائرية الحديثة رغم عدم وجود كوكبة من المؤرخين الذين تخصصوا في هذا النوع

[1] محمد بوشنافي: **الكتابة التاريخية في الجزائر- العهد العثماني نموذجا**، مجلة عصور الجديدة، ع 3- 4، عدد خاص، خريف2011- شتاء 2012، ص 147.

من الكتابة و كان إسهامه كبيرا في كتابة تاريخ الجزائر من خلال مُؤَلَّفِهِ " تاريخ الجزائر في القديم و الحديث"[1] حيث تحدث فيه عن عدم التطوير في التقسيم الإداري الذي بدأ في العهد العثماني و امتد إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر.

ب. منهج الكتابة التاريخية عند عبد الرحمن الجيلالي

يعتبر الشيخ عبد الرحمن الجيلالي من الرعيل الأول الذين أرخوا للجزائر من بداية عصورها أصدر كتابه " تاريخ الجزائر العام " في أربعة مجلدات حول تاريخ الجزائر من القديم إلى عام 1954 م و الذي يعتبر قفزة نوعية في الكتابة التاريخية بأقلام أبناء الجزائر فهو طفرة نوعية و تمتمة لما بدأه الشيخ مبارك الميلي و الأستاذ أحمد توفيق المدني[2] الذي خصصنا له في دراستنا فصل كامل.

كما أن من دواعي كتابة الجيلالي لكتابه " تاريخ الجزائر العام " هو إدراكه بأن تاريخ الجزائر مجهول[3] فأراد إثبات وجود الشخصية الجزائرية.[4]

فقد خصص في الجزء الثالث من كتابه للعهد العثماني واصفا إياه بالإمبراطورية العظيمة حيث جاء في قوله:" فالترك و إن استطاعوا أن يؤسسوا دولة كبيرة و إمبراطورية عظيمة"[5] و من قوله هذا نستنتج أن الدولة العثمانية كانت تتمتع

---

[1]: **منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين– الشيخ مبارك الميلي نموذجا**،مجلة دراسات في التنمية و المجتمع، ع1، مج 7، 2022، ص 64.

[2]صادوق الحاج: **منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخ الشيخ عبد الرحمن الجيلالي**، مجلة رؤى التاريخية للأبحاث و الدراسات المتوسطية، ع 2، مج 1، أكتوبر 2020، د ص.

[3] ميسوم بلقاسم: الشيخ عبد الرحمن الجيلالي: فقيه المؤرخين الجزائريين– عرض لحياته و تقديم لكتابه " تاريخ الجزائر العام "، مجلة العصور، ع 12، 2008– 2009، ص 89.

[4] نفسه، ص 90.

[5] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، دار الأمة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، دط، ج 4، 2009، ص 154.

بالاستقلالية كما أن نفوذها شمل بلدان كثيرة و من ضمنها الجزائر و التي كانت تحت نطاق حكمها لما يقارب ثلاثة قرون إلا أنهم كان لديهم عجز في إبداع الحضارة في كل زمن حيث جاء في قوله:" فإنهم أثبتوا عجزهم عن إبداع حضارة في كل زمن و كان أقصى جهودهم أن يستفيدوا مما أصبح تحت أيديهم من علوم العرب و فنونهم و صناعاتهم و تجاراتهم و لم يقدر للترك أن يتقدموا خطوة واحدة في هذه المعارف التي ازدهرت أيام سلطان العرب. و ما الحضارة في الجزائر على عهد الأتراك إلا خلاصة أو قل هي عصارة لمدنيات أجيال و أمم عريقة في القدم و المدنية تعاقبت على هذا الوطن و تقدمت وجود الأتراك بهذا القطر بأحقاب فخلفت وراءها في مجرى تاريخ الحضارة بالجزائر من الأثر ما هو من حالتها الراهنة ".[1]

فقد اتبع الجيلالي منهجا علميا واضحا و عرضا تاريخيا أوضح من منهج سابقيه فحاول أن يكون موضوعيا في عرض الكثير من الأحداث التاريخية و إن كانت قضية الموضوعية المطلقة بالنسبة للمؤرخ قضية نسبية بحكم ارتباطه بأمته و انفعاله مع قضاياها فنجد كتبه خالية من الانفعالات العاطفية كما استشهد بالنصوص الكثيرة المختلفة التي تدعم بحثه و إن لم تكن تاريخية بحتة بالإضافة إلى إثبات جداول تاريخية تقيد الحوادث التاريخية الهامة التي وقعت على عهد الدولة التي أرخ لها في كل فصل من فصول كتابه الرئيسية كما عمد إلى إثبات فهارس تاريخية تتصل بالدول الأخرى بالإضافة إلى التبويب المحكم و ترتيب الأدوار التاريخية و ذكر جداول الدول و تراجم بعض المشاهير و كذلك استخدامه للمخطوطات الأمر الذي يدل على مدى الصرامة و الدقة الممنهجة للشيخ عبد الرحمن الجيلالي.[2]

ت.منهج الكتابة التاريخية عند سعد الله

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، مرجع سبق ذكره، ص 154.

[2] صادوق الحاج، مرجع سبق ذكره، ص

يعد أبو القاسم سعد الله من أشهر المؤرخين الجزائريين على الإطلاق، و عرف عنه عمق التفكير و رصانة الكتابة،[1] كما يعد أيضا من مؤسسي المدرسة التاريخية الجزائرية و أحد أقطاب التاريخ و الأدب و الفكر في العالمين العربي و الإسلامي ، و الذين كونوا جيلا من الباحثين و الأكاديميين المؤرخين، و من الذين أثروا الكتابة التاريخية و الفكرية الجزائرية المعاصرة بما أنتجه من مؤلفات كثيرة و غزيرة أرخت للجزائر في عهود مختلفة، بداية من الإسلامية الزاهرة و الفترة العثمانية الحديثة ثم العهد الاستعماري.[2]

يعتمد منهج أبو القاسم في الكتابة التاريخية على الجد و المثابرة في البحث و العمل و حب المادة التاريخية، و كان يؤمن أن على المؤرخ عدم الانحياز لهذا أو ذاك الطرف المشارك بالحدث التاريخي؛ لأن ذلك يفقد مهمته الأساسية كباحث في التاريخ. و من جهة أخرى يتصف بالتواضع إزاء ما يقوم به من أعمال، و أن يبتعد عن حب الشهرة و الظهور.[3]

تحكمت في كتابة تاريخ الجزائر عدة عوامل و المتمثلة فيما يلي:[4]

أولا: رفضه للمركزية المشرقية؛

ثانيا: الحرص على وحدة الوطن الجزائري و تاريخه؛

---

[1] عبد القادر صحراوي: **صورة أبو القاسم سعد الله التاريخية في ضوء تاريخ الجزائر الثقافي**، مجلة الحوار المتوسطي، مج 12، ديسمبر 2017، ص 35.

[2] سفيان لوصيف: **المؤرخ أبو القاسم سعد الله و كتابة تاريخ الجزائر**، مجلة دراسات و أبحاث، المجلة العربية في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ع 28، سبتمبر 2017، ص 263.

[3] خالد بلعربي: **المؤرخ أبو القاسم سعد الله و منهجه في الكتابة التاريخية**، المجلة المغاربية للدراسات التاريخية و الاجتماعية، ع 2، مج 7، ديسمبر 2016ص ص 77.

[4] جبران لعرج: **تقييم المؤرخ أبو القاسم سعد الله لفترة الحكم العثماني في الجزائر**، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية، ع 3، مج 7، ديسمبر 2021، ص 182.

ثالثا: العمل من أجل إحياء الثقافة الثقافة العربية في الجزائر و إبرازها؛

رابعا: فلسفته المثالية الهيغيلية؛

خامسا: تعاطفه مع جمعية العلماء المسلمين؛

سادسا: ابتعاده عن القضايا الحساسة و القريبة.

2. منهج الكتابة التاريخية عند الغربيين

أ. دوافع و مميزات الكتابات التاريخية الفرنسية حول تاريخ الجزائر

انطلق الفرنسيون في كتاباتهم عن تاريخ الجزائر من عدة معطيات لا تزال إلى اليوم تتحكم في كتابات المدرسة الكولونيالية الفرنسية، أهمها:[1]

أولا: دخولهم أرض الجزائر بالقوة بدافع السيطرة و الاحتلال، و محاولتهم تبرير ذلك، فكانت بدايتهم بجمع الآثار المكتوبة و غير المكتوبة و تمحيصها و تدقيقها و قد استعان الفرنسيون بالعديد من الكتاب الجزائريين؛

ثانيا: باعتبارهم شعب متحضر جاء لنشر الحضارة، و الحقيقة أنها حملت معها إلى الجزائر كل أدوات الغزو الفكري، فقد جاءت بالمطبعة و الصحيفة و كذا بالمترجمين و بالمستشرقين الذين يدعون معرفة الإسلام و تاريخه؛

ثالثا: الدافع الديني الذي يعتبر كذلك أحد أبرز منطلقات الكتابة، فبما أنهم مسيحيين فقد فرضوا سيطرتهم على شعب مسلم، و بالتالي يعتبر احتلال الجزائر في حد ذاته حلقة من حلقات الحروب الصليبية، لذلك اهتم الفرنسيون بتاريخ الجزائر لمعرفة أسرار و خبايا المراحل السابقة؛

رابعا: الفضول العلمي و هو الرغبة في الاكتشاف و معرفة المجهول، خاصة و أن هذه الفترة عرف فيها العقل الأوروبي ميول إلى المعرفة و الاكتشاف.

[1] أحمد زاوي، رشيد مياد، مرجع سبق ذكره، ص 65.

ب. الكتابة التاريخية عند الفرنسيين

إن أغلب الدراسات التاريخية المتعلقة بالفترة العثمانية و التي تمت على يد كتاب فرنسيين تعتبر دراسات مغرضة فهي تخدم إلى خدمة الاستعمار الفرنسي في مجال التاريخ بحيث أخضعت منهجية التاريخ و متطلبات البحث إلى واقع الاحتلال و مرامي السياسة الاستعمارية.

فالوجود العثماني في نظر المساهمة الفرنسية كان بمثابة العامل الذي حال دون اكتساب الجزائر مقومات الدولة الوطنية و عاق تطور النظم الاجتماعية و الاقتصادية. و قد أدّت هذه النظرة المغرضة بالكتاب الفرنسيين إلى تجاهل الوجود التاريخي للشعب الجزائري و اعتبار الجزائر منطقة فراغ حضاري تفتقر إلى وجود شعب متماسك و أمّة متكاملة. فالجزائر بهذا المفهوم كان ينظر إليها على أنّها جزء من الغرب افتك من طرف الشرق في مناسبتين الأولى عند الفتح الإسلامي (7 ق. م) و الثانية مع ظهور الأتراك العثمانيين و تأسيس أيّالة الجزائر (16 ق. م).[1]

1. فونتير دي بارادي (venture deparadis) تونس و الجزائر في القرن الثامن عشر ميلادي[2]

لقد ترك " فونتير دي بارادي " عدة مؤلفات بعضها مطبوع و بعضها لا يزال مخطوطا بالمكتبة الوطنية بباريس و من بين مؤلفاته ترجمة كثير من الكتب العربية الناذرة و من أهم ما ترجمه: تاريخ الخلفاء و المماليك بمصر للشيخ يوسف المقدسي، و الموجز الجغرافي التاريخي لدولة المماليك لابن شاهين الزبيري.

---

[1] هلايلي حنيفي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سبق ذكره، ص 104.

[2] يمينة مجاهد: **محاضرات في مقياس مدخل إلى مصادر تاريخ الجزائر**، ، قسم التاريخ و علم الآثار، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الإسلامية، جامعة وهران 1- أحمد بن بلة، ص ص 41- 42.

من أهم ما ألفه كتاب " تونس و الجزائر في 18 ق.م " و هو عبارة عن تقارير عديدة تتضمن معلومات غزيرة عن الحياة السياسية و الاجتماعية في الإيالتين: تونس و الجزائر.

الكتاب يعتبر بحق مصدرا تاريخيا متميزا من حيث معلوماته و الحقائق التي جاء بها، و فريدا من نوعه من حيث التفاصيل التاريخية التي يحتوي عليها بخصوص سير الإدارة الجزائرية بمختلف أجهزتها العسكرية و المالية و الأمنية و ضمنه معلومات الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الإيالتين. و قد تميز هذا الكتاب بالدقة في تسجيل الأحداث و وصفها، و هي الميزة التي لا تكاد توجد في المؤلفات الأوروبية الأخرى في تلك الفترة.

2. مساهمة هنري دلماس دوغرامون (Henri Delmas de Grammont)

يعتبر كتاب هنري دلماس دوغرمون (1830- 1892) المسمى: تاريخ الجزائر تحت الحكم العثماني الذي صدر سنة 1887 م من أشهر الدراسات التاريخية خلال الاستعمار الفرنسي. كما يعد كتاب دوغرامون حول تاريخ الجزائر العثمانية الفريد من نوعه المكتوب باللغة الفرنسية حيث اعتمد على مصادر أولية في معالجة مختلف مضامين الفترة.[1]

تناول فيه التاريخ السياسي بالدرجة الأولى و هو عمل قائم على جمع مصادر مختلفة و متنوعة من شهادات و جرائد معاصرة و مصادر أرشيفية أروبية بالدرجة

[1] هلايلي حنيفي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سبق ذكرهن ص 110.

الأولى و مع هذا فقد وفق في كثير من الأحيان في تفسير أسباب المعارك التي شهدتها الجزائر طوال الفترة العثمانية و هذا بحكم تجربته العسكرية و السياسية.[1]

إن الإهمال الواضح للمصادر المحلية من طرف دوغرامون جعله لا يثق في صحة الوثائق العربية– العثمانية و يصفها بالتجريد و المبالغة و لا يعتمدها في أبحاثه التاريخية.[2]

و من بين النتائج التي توصل إليها دوغرامون ما يلي:[3]

أولا: لم يملى كتاب غزوات لا من طرف خير الدين و لا سينان شاوش و لا غيرهما؛

ثانيا: لم يكتب تحت أي وصاية من أحد؛

ثالثا: لم يؤلف المخطوط من طرف عناصر الجيش أو أحد أتباع خير الدين.

المبحث الثالث: القيمة التاريخية لهذه الكتابة

لا شك أن لهذه الكتابات تعد في غاية الأهمية من حيث قيمتها التاريخية، باعتبارها مصدرا أصليا لتلك المرحلة، حيث اشتملت هذه الدراسات على المادة العلمية و تسلسل في سرد الأحداث، كما ساهمت في الرد على الكتابات الفرنسية التي قامت بطمس هذه الفترة من تاريخ الجزائر.

إذ أنها قامت بإحياء التراث و معالجة تاريخ الجزائر باعتباره وحدة من حيث المدى الزماني و الحيز الجغرافي و إحياء و نشر الثقافة الصحيحة عن تاريخ شعوب المنطقة، و من ثم تكذيب التاريخ المزور الذي أنسبه الأوربيين للجزائر من خلال طمسهم للفترة

[1] نفسه، ص 111.
[2] نفسه، ص 112.
[3] نفسه، ص 115.

العثمانية بالرغم من وجودها في الجزائر لما يقارب ثلاثة قرون، حيث قاموا باسترداد العناصر الصالحة من التاريخ الجزائري الذي حاول المستعمر الفرنسي طمسه.

و إذا أردنا تقييم هذه الأعمال فإننا نتوصل إلى النتائج التالية:[1]

أولا: إن معظم هذه الكتابات كانت ردا عما كتبه مؤرخو المدرسة التاريخية الفرنسية، فهي محاولة لتصحيح المغالطات التي ألصقت بتلك الفترة، و لهذا فكثيرا ما نجدها تعتمد على الذاتية و تبتعد عن الموضوعية و المنهجية العلمية، و لكن ذلك لا يقلل من أهميتها بالنسبة لكتابة تاريخنا الوطني؛

ثانيا: بعض المؤرخين الجزائريين ألفوا كتبهم بطلب من و تشجيع من الفرنسيين، فمحمد بن أبي شنب حقق و ألف بدعم من أستاذه رينيه باصي، أما أبوا القاسم الحنفاوي فألف كتابه تعريف الخلف برجال السلف، بطلب من الإدارة الإستعمارية و على رأسها دومينيك لوسياني؛

ثالثا: إن أصحاب هذه المؤلفات كان معظمهم من ذوي التوجه العربي الإسلامي، فلم ينبهروا بالاستعمار و أعماله، بل حاولوا جاهدين أن يبرزوا البعد افسلامي للشعب الجزائري، فبعضهم من الأعضاء البارزين في جمعية العلماء المسلمين مثل المرحومين أحمد توفيق المدني، و مبارك الميلي؛

رابع: أضطر كثير من المؤرخين الجزائريين إلى الاعتماد في كتاباتهم على مصادر أجنبية لاستنباط معلوماتهم، رغم ما تحتويه من دسائس و مغالطات.

[1] محمد بوشنافي، مرجع سبق ذكره، ص 150.

الفصل الثاني:

أضواء على حياة أحمد توفيق المدنى

يعتبر أحمد توفيق المدني من الشخصيات التاريخية الهامة التي ساهمت في بناء الحركة الوطنية، و دعم الثورة الجزائرية، فقد كان يتمتع بموهبة كبيرة و ثقافة عالية و حنكة سياسية مكنته من إدارة العديد من المسائل و القضايا في مسار التاريخ الجزائري، بداية من الحركة الوطنية و جمعية العلماء المسلمين، و وصولا إلى الثورة الجزائرية التحريرية التي قام بتمثيلها دبلوماسيا و التعريف بها خارجيا، و تأليف الكتب و إلقاء الخطب تارة، ترك خلفه أعماله شاهدة عن جهده و سعيه في خدمة الدين و الوطن.

و فيما يلي سنتطرق إلى التعريف بشخصيته و تعليمه و أهم أعماله التاريخية.

المبحث الأول: مولده و نشأته

1-النشأة الاجتماعية لأحمد توفيق المدني

ولد أحمد توفيق المدني بن محمد بن أحمد المدني القبي الغرناطي يوم 01 نوفمبر 1889م ،الموافق 24 جمادى الثانية سنة 1317 هجرية بإحدى الديار العربية التي يرجع عهد بنائها إلى العصر الحفصي الأخير بنهج ناعورة رقم 04 في العاصمة التونسية سليل عائلتين من كرام المجاهدين الجزائريين.[1]

والده هو محمد بن أحمد المدني ،ولد بالحضرة الجزائرية سنة 1852 م،تلقى علومه بالجامع الكبير،[2] أما جده فهو أحمد بن محمد المدني – نسبة إلى المدينة المنورة – كان أمين الأمناء أي شيخ بلدية العاصمة الجزائرية.[3]

مما لا شك فإن عائلة المدني عائلة جزائرية اسمها الأصلي عائلة بن عمر " Ben omar " نسبة إلى أحد الأجداد و الذي يأخذ اسمه الحي المعروف في وقتنا الحاضر

[1] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح (مذكرات)**، دار البصائر، الجزائر، دط، ج1، 2009، ص 33.

[2] نفسه، ص33.

[3] أمال معوشي:**أحمد توفيق المدني لمحة عن اسهاماته الثقافية و دوره الدبلوماسي في الثورةالجزائرية**، مجلة البحوث التاريخية، ع 1، مج 3، مارس 2019، ص 194.

بحي " بن عمر " بمدينة القبة بالجزائر العاصمة ،وهي من عرب الأندلس الذين ترحلو بعد سقوط غرناطة في عام 1492 م.[1]

و أمه هي عائشة بنت الشيخ عمر بويراز ،عمر بويراز هو ابن المجاهد الكبير مصطفى بويراز التركي الذي كان قائد فريق الفرسان الجزائريين في معركة " سطاولي " الشهيرة .[2]

ولدت عام 1877 م بتونس من عائلة " ابن غشام " ،و هي إحدى كبريات العائلات التونسية ،و عائلة بويراز تركية تماما من الأتراك الجدد ،الذين قدموا من تركيا في أوائل القرن التاسع عشر الميلادي إلى الجزائر و استقروا بها.[3]تزوجت و عمرها 16 سنة من أبيه الذي كان قد تجاوز الأربعين سنة .[4]

هاجر والده إلى تونس عندما اشتد الاضطهاد الفرنسي بمدينة الجزائر ،و استقروا حينا بجرجرة ،ولما وقعت ثورة 1870 م شاركا فيها إلى أن انهارت ،و تعارفا يومئذ مع جده لأمه " الشيخ عمر بويراز " الذي كان قاصدا بدوره تونس.[5]

عاش " أحمد توفيق المدني " في أسرة متكونة من أربعة إخوة ثلاثة ذكور " عثمان،أدهم و نور الدين " و بنت واحدة تدعى " خديجة " .[6]

أما خلفيات تسميته باسم " توفيق " تعود إلى أيام حرب طرابلس سنة 1911 م ،عندما التقى بالقائد العام للجيش العثماني بليبيا " فتحي بك " ،و هذا في إحدى الجلسات الخاصة التي أقامها السيد "المختار كاهية " ،حيث استرعى " المدنى " انتباه القائد

---

[1] عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر 1899-1983 م**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص تاريخ حديث و معاصر، قسم التاريخ و الآثار، كلية العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2006-2007، ص48.

[2] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص34.

[3] عبد القادر خليفي، مرجع سبق ذكره، ص49.

[4] أحمد توفيق المدني، مصدر سبق ذكره، ص 35.

[5] فاطمة الزهراء نور: **اسهامات المثقفين الجزائريين في إثراء الدراسات الخاصة بالعهد العثماني "أحمد توفيق المدني أنموذجا**"، مجلة تاريخ العلوم، ع 13، مج 05، جوان 2020، ص 364.

[6] عبد القادر خليفي، مرجع سبق ذكره، ص 50.

بحيويته و ذكائه رغم صغر سنه فسأله عن اسمه[1] ،حيث يروي عن نفسه:" التفت إليّ و سألني في لهجة تكاد تكون صارمة :ما اسمك ؛قلت له :أحمد المدني. قال :أنت أحمد توفيق. منذ ذلك اليوم أصبحت "أحمد توفيق المدني ".[2]

نشأ المدني في جو عائلي إسلامي الروح ،إذ تربى في أسرة كريمة ذات أخلاق عالية،عملت منذ الوهلة الأولى على حسن تربيته و مراقبة محيطه [3]،حيث جاء في قوله:" وكانت الأم رحمها الله ،تجتهد في تعليمي سورا من قصار المفصل ،و بعض الأحاديث النبوية التي رواها أبو هريرة رضي الله عنه ،كانت تسمعها من أبيها فتحفظها بأسانيدها ،و ما كان حديثهما معي إلا عن الحرام و هو كل خبيث من القول أو العمل ،والحلال و هو العمل الصالح الطيب ،و الجنة التي يرثها عباد الله المتقون ،و جهنم التي هي مستقر أبدي للشيطان و الذين اتبعوه بسوء ".[4]

كانت بدايات نشأة أحمد توفيق المدني في دار جده [5]،إذ جاء في قوله :" كانت دار جدي مدرسة حقيقية ،سامية الأهداف ،رفيعة العماد ،تحتوي على خيرما في الدين،و على خير ما في الدنيا ..... كنا قبل صلاة العشاء نحيط به رجالا و نساء و صبيانا فيلقي علينا كل ليلة درسا في الدين و الأخلاق ،وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم،ثم يعرج – كل ليلة – على ذكر الاحتلال الفرنسي بالجزائر و مآسيه و فضائعه إلى أن يستفز شعورنا ".[6]

و الحق أن المدني نشأ و شب في وقت كانت الجروح كلها لم تزل تنزف و من الطبيعي أن يكون قد رضع و هو طفل في المهد ،قيم الوطنية و الثورة و الإباء و من

---

[1] عبد القادر خليفي، مرجع سبق ذكره ، ص 50.

[2] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص 70.

[3] عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر**، مرجع سبق ذكره، ص 50.

[4] أحمد توفيق المدني، مصدر سبق ذكره، ص ص 39-40.

[5] هادية صيود: **أحمد توفيق المدني الوسيط النضالي بين تونس و الجزائر من خلال مؤلفه "حياة كفاح"**، مجلة العصور الجديدة، ع 01، مج 08، ماي 2017-2018، ص 144.

[6] أحمد توفيق المدني، مصدر سبق ذكره، ص ص 45-46.

المعقول أن يكون إحساسه بالمحنة من القوة بحيث لا يضاهيه إحساس ،فلقد ولد فيه و عاش من أجله [1]، حيث جاء في قوله :" خلقت ثائرا ،حيثما تكون الثورة أكون ،و تكون ثورة حيثما أكون ،فمنذ فتحت عيني على أضواء الحياة و منذ شعرت بوجودي بشرا سويا ،وجدتني مندفعا ،جارفا جريئا ثائرا على كل ما يحيط بي".[2]

أما زواجه فكان يوم الثامن من شهر مايو 1919 م من زكية بنت الزبير بن الأمين فقد تم زواجه بطريقة تقليدية ،لعبت عائلته الكبرى (بنات عمه) دورا بارزا في هذه الزيجة [3]،إذ جاء في قوله :" طلبت إليهن أن يبحثن لي عن «بنت الحلال»التي تصلح لمرافقتي في ميدان الحياة ،فرحبن بالطلب....اتفقت كلمتهن على أن تكون الخطيبة هي ابنة المرحوم الزبير بن الأمين ".[4]فعائلة زوجته هي عائلة مصاهرة لعائلة المدني ،ذات أصول عربية أندلسية.[5] و كتب الأستاذ حسين الجزيري قصيدة تحت عنوان " عرس المدني " ،جاء فيها :[6]

سهرت أذكر عرسا في الجزائر لم يحضره قوم هنا ،كلنوا على سفر

تهيأوا و استعدوا للرحير و هم منوّعون ،فمن ليث ،ومن نمر

و أثمر هذا الزواج أربعة أبناء منهم ثلاث بنات و هن :" سليمة ،حسينة و فيروز" و ابنا وحيدا هو " محمد إسلام " ،لا يزالون على قيد الحياة .[7]

---

[1] محمد الطاهر عدواني: **كلمة تأسيس بمناسبة الأربعين**، مجلة التاريخ، ع 18، النصف الأول من 1985، ص 166.

[2] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص 21.

[3] عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر**، مرجع سبق ذكره، ص 52.

[4] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح (مذكرات) في الجزائر 1925-1954** م، دار البصائر،الجزائر، دط، ج2، 2009، ص 212.

[5] عبد القادر خليفي، مرجع سبق ذكره، ص 53.

[6] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، مصدر سبق ذكره، ص 214.

[7] عبد القادر خليفي، مرجع سبق ذكره، ص 53.

2-النشاط السياسي لأحمد توفيق المدني

2-1 في تونس

ثار أحمد توفيق المدني على كل ما اعتبره سببا للجمود الفكري ،و كانت ثورته منذ أن كان طالب علم لم يتجاوز 12 سنة ،فقد كان يجاهر بصوته أمام أترابه و أساتذته [1]،

حيث يقول :" و أنا بالمدرسة ضمن دائرتي المحدودة الضيقة ،و أتحمس ،و أخطب و أطلق العنان فتنفجر مهددة هوجاء ،وكانت ثلة قليلة من التلاميذ تؤيدني ،و كانت كثيرة تناقضني ،وكانت شرذمة منهم ،فيها بعض الأساتذة تقول ساخرة و أنا أسمع و أرى دعوه فإنه مجنون يريد أن ينقض ما أبرمته يد الله ".[2]:

كان شديد التأثر بالمصلح و الزعيم النضالي عبد العزيز الثعالبي [3]؛فقد كان يقتدي به و هذا ما جاء في قوله :" استوعبت لهجة الثعالبي الخطابية و اندمجت في كياني ،إلى آخر رمق من حياتي .فمن سمعني و أنا أخطب ،و طالما خطبت ،فكأنه يسمع الثعالبي في لهجته و نبراته ،و قوة عارضته و شدة شكيمته ".[4]

انطلقت رحلته كصحفي مع أول مقال له في نوفمبر 1914 م و الذي يحمل عنوان " الإدمان أول وزراء الموت " ،أما المقال الذي أحدث الأثر المطلوب في نفوس التونسيين فهو مقال " لجج الهواجس " في ديسمبر 1914 م.

امتد مشواره النضالي و اتسع مع مرور الوقت إلى القيام باجتماعات سرية متتالية من أجل التخطيط لعمل ثوري مهما كانت نتيجته أو الوسائل المبذولة لأجله ،و ذلك بالتعاون مع ثلة من أصدقائه الذين كانوا يؤمنون بتلك المبادئ التحريرية مثله الأمر

---

[1] هادية صيود، مرجع سبق ذكره، ص 146.

[2] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص ص 24-25.

[3] هادية صيود، مرجع سبق ذكره، ص 146.

[4] أحمد توفيق المدني:**حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص 79.

الذي تفطنت إليه السلطات الفرنسية، فأصبح محط أنظار المستعمر، و بالتالي ضرورة وضع حد

لنشاطه،[1]فأدخل السجن يوم 14 فيفري 1915م[2]و خرج منه في نوفمبر1918م[3] ،حيث يقول:" غادرت السجن أقوى جسما ،و أمتن ما أكون عضلا ،و أظهر ما أكون و أقوى ما أكون أملا ".[4]

و يقول أيضا:" مهدلي سجني مقاما محمودا بين قومي و مركزا ممتازا في العالم الإسلامي ،فنصيحتي لم تذهب سدى و مدة السجن لم تكن خسارة في حياتي إطلاقا ".[5]

و في عام 1920م قام بإنشاء حزب الدستور رفقة مجموعة من أصدقائه فكان الهدف من تأسيس هذا الحزب هو الحصول على دستور وطني تونسي، أما الغاية التي يصبو إليها فهي دون شك استقلالية تونس و الحماية الفرنسية.

تعد سنة 1925م السنة الفاصلة في حياته،حيث وضع حد لنشاطه النضالي بتونس، و بإعلان رسمي من الحاكم الفرنسي تقرر طرده من البلاد و إرساله إلى وطنه الأم الجزائر.[6]

2-2 في الجزائر

كان أول من استقبله بعد نفيه إلى بلده العلامة مبارك ميلي، مما ذكر بنفسه حيث جاء في قوله:" كان أول من شرفني بالزيارة في البهو الصغير بفندق فرنسا ،هو العلامة الفيلسوف المقدام،خالد الذكر: مبارك بن محمد الميلي "[7] ،كما التقى بالعلامة رائد النهضة عبد الحميد بن باديس فتبادل أطراف الحديث معهم في عدة مواضيع و مشاريع

---

[1] هادية صيود، مرجع سبق ذكره، ص 147.

[2] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، 143.

[3] نفسه، ص 178.

[4] نفسه، ص 204.

[5] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1،ص 205.

[6] نفسه، ص ص 8-9.

[7] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، مصدر سبق ذكره، ص 21.

مهمة ،فجاء في قوله :" كان الحديث متشعب النواحي ،مختلف الاتجاه. كانت فكرة مبارك الميلي :لا يصلح أمر الجزائر إلا بمحاربة الطرقية المضلة ،و تكوين المدارس العربية تسد الطريق في وجه الاتحاد الإلحادي الفرنسي ....قال ابن باديس :إنني أرى حالة البلاد قبل دروس الجامع الأخضر و بعدها كان الجهل سائدا ".[1]

انطلق المدني في مشوارهالحافل بالإنجازات حيث وجد المناخ مهيئا سياسيا و فكريا لاستقبال حماسه فعثر على ضالته المنشودة مع النخبة الجزائرية ،و قام بإنشاء صحيفة أسبوعية بالتعاون مع الشيخ عبد الحميد بن باديس سماها " الشهاب "[2] و من المقالات التيكتبها:" كفى عبثا (أوت 1937) ،عدو جاهل (جوليت 1932)،حول تشريد القبائل (فيفري 1933) ،عبث و استهتار(ماي 1934)،الجزائر البائسة (أكتوبر 1937)،كلمة مرة لأنها صريح الحق و لباب الواقع (نوفمبر 1937)،الاستياء العام (مارس 1938)..."[3]

كما ساند إصلاحات الأمير خالد التي انطلقت سنة 1919 م ،و مارس نشاطه الفكري داخل الجزائر رغم القوانين التي فرضتها عليه السلطات الفرنسية ،و بالتالي أثارت تحركات المدني مما زاد الشكوك اتجاهه و التركيز و الاهتمام من حوله الأمر الذي قاد إلى مساومة معه في تونس ،و ذلك بتقديم مقترح العودة إلى مسقط رأسه مع التخلي عن أهدافه و التخلي أيضا عن النشاط الحزبي،و الرجوع إلى عائلته و لكنه رفض المقترح بقوله :" إذا ما بقيت بالجزائر كنت عاملا بها مؤمنا بمستقبلها مدافعا عن حقها، هكذا خلقت و هكذا أموت بعد تحقيق المنى و رفع راية الاستقلال ".[4]

انضم إلى صفوف الحركة الوطنية الجزائرية و اتصاله الدائم مع فرحات عباس إضافة إلى نشره لعدة مقالات توعوية تحريضية ضد المستعمر.[5]

---

[1] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، ص ص 28-29.

[2] هادية صيود، مرجع سبق ذكره، ص 150.

[3] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، مصدر سبق ذكره، ص ص 399-413.

[4] هادية صيود، مرجع سبق ذكره، ص 150.

[5] نفسه، ص ص 150- 151.

توسع نشاط المدني النضالي مع الوقت فكلف بالالتحاق بالوفد الخارجي لجبهة التحرير الوطني بالقاهرة ،و التنسيق مع جامعة الدول العربية و خدمة الثورة على الصعيد السياسي العربي، و جلب التأييد لها ؛فانتقل من وسيط مغاربي إلى وسيط دولي بين الأقطار العربية و الإسلامية للتعريف بالقضية و لإيجاد الحلول لها .[1] كما نشط لسنوات عديدة إلى جانب رموز الحركة الإصلاحية و تولى منصب الأمين العام لجمعية العلماء سنة 1951م و عشية اندلاع الثورة التحريرية التحق بوفدها الخارجي عام 1956 م ،كما تقلد منصب وزير الثقافة في أول حكومة مؤقتة للجزائر سنتي 1958-1960 م، واصل نشاطه في مرحلة الاستقلال ،حيث قاد وزارة الأوقاف في عهد الرئيس أحمد بن بلة،و عين سفيرا في الباكستان و العراق و إيران و تركيا.[2]

توفي المدني في 18 أكتوبر 1983 م،تاركا تراثا ضخما يعكس الجهود الكبيرة التي بذلها الرجل على امتداد سبعين عاما من العطاء الفكري ،و نذكر منها :[3]

*محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 م؛ *كتاب الجزائر ؛

*جغرافية القطر الجزائري ؛ *المسلمون في جزيرة صقلية؛

*حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا ؛ *هذه هي الجزائر؛

*و حياة كفاح في ثلاثة أجزاء و رد على حملة أكاذيب.

المبحث الثاني: تعليمه (مسيرته الدراسية)

تربى الابن أحمد توفيق المدني في جو العائلة المحافظة على الشرف و الدين،[1] فكانت أمه تعلمه القرآن و الحديث و الأخلاق و كان أبوه يصطحبه معه للصلاة و يحكي له عن جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر.[2]

---

[1] هادية صيود، مرجع سبق ذكره، ص 151.

[2] عبد القادر خليفي: **الكتابات التاريخية و بعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية "دراسة نماذج من إسهامات أحمد توفيق المدني خلال الفترة 1931-1950**" ،مجلة دراسات و أبحاث، ع 25 ،ديسمبر 2016، ص 194 .

[3] نفسه، ص 195.

زاول المدني دراسته الابتدائية و الثانوية ثم الجامعية بالزيتونة بتونس[3]؛ ففي البداية أدخله والده الكتاب (المدرسة القرآنية) عند بلوغه الخامسة من عمره فتعلم القراءة و الكتابة و القرآن و تكون تكوينا حسنا للدخول إلى المدرسة القرآنية،[4] و عندما اجتاز السنة التاسعة كان يقرأ الصحف التونسية إجمالا، و تفتق ذهنه عن السياسة و أساليبها و أكاذيبها.[5] و في سنة 1909 م، قد بلغ من العشرة من عمره فخطا أول خطوة في مشواره التعليمي بانتقاله إلى المدرسة القرآنية الأهلية و التي كان يشرف على تسيير شؤونها الشيخ "محمد صقر" رحمه الله، فتلقى شيوخها مبادئ اللغة العربية و علوم الدين و الحساب، و الكيمياء، و العلوم الطبيعية، و مبادئ اللغة الفرنسية.[6]

حيث يذكر عن مدرسته ما جاء في قوله:" كنا في المدرسة الفسيحة، المنظمة أجمل تنظيم، نحواً من ثلاثمائة تلميذ، كلهم مهذب مجتهد، وضعت في الصنف الرابع منها،

ثم أخذت أصعد الدرجات مسرعة. و أحاط بي جماعة من التلاميذ يستمعون إلى حديثي الذي لم يكن حديث صبي، أروي لهم ما كنت اختزنته في ذاكرتي من أحاديث أبي و جدي و خالي....و كان البعض يفهم ما أقول، و كان البعض يسمع و يعجب، دون فهم أو محاولة فهم. أما الذين كانوا يفهمون فقد أصبحوا لي إخوانا صادقين، لا يكادون يفارقونني نهارا ".[7] فهو رغم صغر سنه كان يتصفح مجلة "العروة الوثقى" التي أصدرها بباريس "جمال الدين الأفغاني" و "محمد عبده" عام 1884 م و كذا مجلتي "المؤيد" و "اللواء" ،و التي كان خاله محمد بويراز يتصفحها للاستفادة من ثقافته،

---

[1] محمد بوطيبي: **بواكير كتابة تاريخ الجزائر خلال النصف الأول من القرن العشرين "كتابات أحمد توفيق أنموذجا"**، مجلة تاريخ العلوم و الدراسات و الأبحاث الايبستمولوجية، ع 13، مج 05، جوان 2020، ص 200.

[2] فاطمة الزهراء نور، مرجع سبق ذكره، ص 364.

[3] أحمد توفيق المدني: **محاضرات في اللغة و الفكر و التاريخ**، دار البصائر، الجزائر، دط، 2009، ص 7.

[4] أمال معوشي، مرجع سبق ذكره، ص 195.

[5] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص 41.

[6] عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر**، مرجع سبق ذكره، ص 55.

[7] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص ص 53-54.

و معرفة آخر الأخبار التي يشهدها العالم الإسلامي الواقع تحت سيطرة القوى الاستعمارية الأوروبية آنذاك.[1]

و في عام 1913 م انتقل إلى الدراسة في جامع الزيتونة، و دخل المدرسة الخلدونية التي تعد تكميلية للدراسة الزيتونية، فيما يتعلق خاصة بالعلوم الرياضية، و التاريخ العام، ففي المدرسة الخلدونية كان متقيدا بمنهاج مدقق فكان يتلقى تعليمه على يد الأستاذ "حسن حسني عبد الوهاب" فكان يأخذ عنه التاريخ و الحكمة و فصل الخطاب و ما لبث أن اتصلت بينهما روابط التقدير و الاحترام، ليقوم الأستاذ بإهدائه مجموعة كتبه. و أما بجامع الزيتونة، فقد اختار لنفسه منهاجا دراسيا خاصا به، لم يتقيد بصنف ولا يشارك في امتحان. كان يطلب العلم لأجل العلم لا لأجل منصب. فاختار لنفسه دروسا على حلة الأساتذة: كالشيخ النخلي في التفسير، و الشيخ محمد بن يوسف في البلاغة، و الشيخ الصادق النيفر في الفقه، و الشيخ محمد ابن القاضي في النحو و الصرف، و الشيخ محمد بن شعبان في المنطق و الفلسفة و الشيخ معاوية التميمي في آداب اللغة العربية.

فكان يلازم دروسه عشر ساعات كل يوم دون انقطاع تبتدئ بعد أداءه لصلاة الصبح و تنتهي بعد أداءه لصلاة العشاء. مع ما يتخلل ذلك من حفظ لمختلف المتون منها: ابن عاشر- الألفية- السلم- لامية الأفعال- الدرة....الخ.[2]

لم يكن ذلك كافيا لحبه للقراءة و المطالعة.فكان يقوم بتأجير الكتب و الروايات من دكان صغير بسوق الكتيبة بتونس و الذي كان صاحبه "عم علي بوغدير"، مقابل 10 سنتيمات لمدة ثلاثة أيام، ثم يرجعها و يأخذ رواية أخرى، أو كتابا آخر، لمثل تلك المدة، و بمثل ذلك الأجر.[3]

---

[1] عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق لمدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر**، مرجع سبق ذكره، ص ص 55-56.

[2] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص ص 94-96.

[3] نفسه، ص 97.

فما إن حلت سنة 1915 م حتى سجل نشاطا ملحوظا في لجنة صغار الثوار التونسيين الذين يؤمنون بالكفاح المسلح أنه الوسيلة الوحيدة لتحقيق استقلال تونس و بقية بلدان المغرب العربي. و مع أنه سجن إلا أنه بقي قوي العزيمة ثابتا على مبادئه و لم ينل منه السجن في شيء، بل ازداد إصرار، و استغل هذه الفترة العصيبة في تكوين نفسه و تعلم المزيد،[1] حيث يذكر المدني:" قال في إدارة السجن مكتبة لا بأس بها فيها مختلف الروايات سأرسم اسمك في سجلها و آتيك منها بما تشاء. ثم أوصد الباب و رجع و في يده رواية "ماسك روج" أي: القناع الأحمر. فتناولته بجذل و حبور لتليها رواية "مدام بني جردان" لكنه كان لا يفهم كثيرا فطلب من عائلته إرسال قاموس لاروس، و ما هي إلا أيام حتى وصله فاعتكف على دراسته كما يدرس كتابا مألوفا.....و في مدة ثلاثة أشهر أصبح يقرأ الرواية كلها فلا ينبو عن فهمه منها سوى بعض الكلمات القلائل.

أما الكتاب الثاني الذي طلبه من والده و الذي وصله بعد أسبوع فهو "ميمنتو لاروس" و الذي فيه خلاصة مركزة طبية لكل العلوم و الفنون التي تهيء الطالب لامتحان الباكالوريا".[2]

كما قال أيضا: "أقبلت عل الدراسة إقبالا غير مألوف: لم يكن لدي عمل، و لم يشغل بالي أي أمر، و كان الوقت كله لي منذ مطلع الشمس حتى غروبها، فتركت الروايات جانبا و أخذت أنتهل من معين لاروس و ما فيه شفاء للنفس المتعطشة، و ملأت الوطاب من علوم ما كان يدور بخلدي أنني أمارسها يوماً أو أفهمها".[3]

بالإضافة أنه أحسن استعمال سنوات سجنه استعمالا جيدا و هذا ما جاء في قوله: "أنني أحسنت استعمال سنوات السجن، بصفة لا أظن أنه قد سبق لها مثيل. لقد كانت وحدتي سببا في الدراسة و المطالعة، فملأت وطابي من علوم الدين، و من العربية، و من علوم الحياة، زيادة عن تعمقي في دراسة اللغة الفرنسية دراسة جعلتني بصيرا بأسرارها، و الفضل في ذلك يرجع إلى عزيمتي الصلبة أولا، و إلى ثقتي بالله،

[1] أمال معوشي، مرجع سبق ذكره، ص ص 196-197.

[2] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص ص 175-176.

[3] نفسه، ص 176.

و إلى الجهود المالية الجبارة و الجهود الأدبية المثمرة التي بذلها أبي و شقيقي الشاعر العملاق الهادي المدني، لإمدادي بكل ما طلبت من كتب كثيرة".[1]

المبحث الثالث: آثاره (أهم مؤلفاته)

كما هو معروف ترك أحمد توفيق المدني الكثير من المؤلفات القيمة، التي حفظت بين دفتيها العديد من الأحداث التاريخية الهامة، أصدرها خلال العشرينيات و الثلاثينيات من القرن العشرين معظمها في التاريخ العام للمغرب العربي و شمال افريقيا و الجزائر.

و نشرت كل كتبه و هو في الجزائر باستثناء ثلاث مؤلفات و هي:[2]

- تونس و جمعية الأمم عام 1923 م المترجم إلى الفرنسية و الذي خدم القضية الوطنية التونسية؛
- الحرية ثمرة الجهاد حيث عالج نضال ايرلندا ضد الإنجليز و الذي صدر عام 1923 م؛
- تقويم المنصور (الثلاث الأجزاء الأولى).

و فيما يلي شرح لأهم أعماله التاريخية و التي سنستعرضها كما يلي:

1. **مسرحية حنبعل**

عرضت في مسرح الجزائر سنة 1948 م، و هي تروي ملحمة بطل قرطاجنة و نهايته.[3]

حيث تتكون مسرحية حنبعل من أربعة فصول تدور أحداثها في 87 صفحة تروي قصة البطل القرطاجي " حنبعل ".[4] فمن الأسباب التي دفعت المدني لكتابة روايته ما

[1] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص ص 200-201.

[2] أمال معوشي، مرجع سبق ذكره، ص 202.

[3] فاطمة الزهراء نور، مرجع سبق ذكره، ص 365.

[4] محمد قشي، **عمر بن طرية: تجليات البطل المقاوم في المسرح الجزائري- مسرحية " حنبعل " لأحمد توفيق المدني أنموذجا**- ،مجلة مقاليد، ع 13، ديسمبر 2017، ص 133.

جاء في قوله: "لا أكتم الحقيقة و لا أكذب التاريخ. لقد كان للخيبات المتوالية في ميدان السياسة بالشمال الأفريقي، و كان للنكبة العارمة التي حلت على العرب و المسلمين في فلسطين، وقع أليم جداً على كل فئات الجزائريين المتحمسة فأصاب الكثير منها يومئذ نوع من اليأس القاتل، كنا نحاربه بأقلامنا، و بخطبنا و بمساعينا المتعددة، لكننا كنا نشعر بوجوده و بانتشاره و كنا نخشى تفاقم أمره. قلت في نفسي: و لماذا لا أجرب المسرح؟ إن رواية وطنية صادقة تعرض على الشعب في قالب فني مدروس، و تلقى عليه أثناء حوارها ما يجب أن يقال من أجل التغلب على الصعاب و الصبر و الثبات، و استفزاز روح المقاومة الأصلية فيه، هكذا نشأت رواية " حنبعل ".[1]

لم يكن اختيار عنوان " حنبعل " من باب الصدفة، فهذا البطل يرمز للوحدة و التضحية في سبيل الوطن، كما أن اختيار الظروف الزمانية و المكانية دليل على واقعية المؤلف. استحضار شخصية حنبعل هو توظيف ذكي من مترجمنا أراد من خلاله أن الجزائر و المغرب العربي لم يكن وليد الغزو الفرنسي سنة 1830 م كما تدعي الطروحات الفرنسية بل إن لهذا الوطن جذور تاريخية في القدم و هذا من جهة و من جهة أخرى إن استحضار هذه الشخصية – أي حنبعل – إنما هو إزكاء لروح كراهية الغازي المستعمر الذي وجب مقاومته و التصدي له.

فمسرحية حنبعل كانت عبارة عن دراما سياسية، قدمت باللغة العربية الفصحى، و عرضت نهارا للنساء و ليلا للرجال،[2] التي قام بتمثيلها الأخ " محي الدين باش تارزي" رائد المسرح العربي بالقطر الجزائري بمسرح الأوبرا، كما تجاسر بعض الإخوان الفضلاء على تمثيلها في نفس إذاعة الجزائر. فما انتبه الفرنسيون لها و لمغازيها السافرة، إلا بعد أن وصلتهم التقارير عنها و عن مفعولها.[3]

---

[1] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، مصدر سبق ذكره، ص ص 543-544.

[2] عبد القادر خليفي: **الكتابات التاريخية و بعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية**، مرجع سبق ذكره، ص 208.

[3] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، مصدر سبق ذكره، ص 544.

فإن فصول المسرحية جاءت مملوءة بالوطنية و النداء للمقاومة و مضمونها، و لغتها الخطابية و قوة أسلوبها، و أن الأفكار المعروضة تدعو إلى تحطيم القيود العبودية و الاستغلال، و هي أفكار ثورية تؤثر على أفكار الجمهور، و تحرضه على الكفاح ضد المستعمر.[1]حيث يقول المدني:" و يا ليت القارئ الكريم كان حاضر التمثيل المسرحي، ليرى ذلك التأثير الحاد الذي أحدثته الرواية، لا في الجزائر فحسب، بل في كل أقطار المغرب العربي، و قد تناولتها إذاعة لندن العربية و مثلتها بإتقان مرارا، فسمعها العرب في كل أصقاعهم، ثم طبعتها بعد ذلك فانتشرت و ذاعت و مثلت بالجزائر و بتونس أكثر من مائتي مرة ".[2]

و الحقيقة أن مترجمنا استطاع أن يضمن المسرحية مقولات مؤثرة جداً، و فيما يلي بعض الجمل على لسان حنبعل:" إن موت جندي واحد في ساحة المعركة، دفاعاً عن الحرية و الوطن، لأشرف و أجدى من حياة ألف مثلك، أيها الصبي ".[3] و أيضا قال:" لقد ولدتنا أمهاتنا أحراراً، فلا نرضى أن نعيش عيش العبيد و ما هي، أيها الرفقاء، قيمة الحياة الدنيا، إن لم تكن حياة عزة و شرف و كرامة؟ ".[4]

و جاء في قول الملكة:" لتعلم الأمم، و ليسجل التاريخ، أنه لا عظمة و لا مجد و لا خلود، إلا لمن عاش مجدا في سبيل الحرية، و مات شهيدا في سبيل الوطن ".[5]

و من الملاحظ أن المدني امتلك شجاعة أدبية كبيرة في التصريح بآراء تهدد وجود فرنسا، في وقت كانت الرقابة الفرنسية واقفة بالمرصاد لكل جريئ يدلي بمواقف حول قضيتي العدالة و الحرية.

---

[1] عبد القادر خليفي: **الكتابات التاريخية و بعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية**، مرجع سبق ذكره، ص 209.

[2] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص 544.

[3] أحمد توفيق المدني: **حنبعل رواية تاريخية**، دار البصائر، الجزائر، دط، 2009، ص 24.

[4] أحمد توفيق المدني: **حنبعل رواية تاريخية**، مصدر سبق ذكره، ص 29.

[5] نفسه، ص 58.

2. تقويم منصور [1]

قدم في شكل مجلة في خمسة أجزاء، صدرت الثلاث الأجزاء الأولى بتونس عام 1922-1925 م، و صدر الجزآن الآخران (الرابع و الخامس) في الجزائر سنوات 1926-1929 م.[2]

فأخرج جزءه الأول في 320 صفحة و كان يشمل أبوابا شتى و كانت كما يلي:[3]

1-القسم الفلكي: و فيه حساب السنة و معلومات فلكية؛

2-المباحث العلمية: عوامل الحياة النظامية عند الحيوان، الدورة الدموية، الهضم؛

3-ثمرات من بساتين العلوم: بحوث في أبوب شتى من مختلف العلوم؛

4-مرآة العالم: بيان جغرافي و اقتصادي عن كل دول العالم؛

5-باقة من رياض الأدب: شذرات أدبية اختارها صديقي الروحي الشيخ راجح إبراهيم؛

6-العالم الإسلامي: خلاصة تاريخية شاملة- الدولة التركية الناشئة- الحركة الملية التركية؛

7-أشهر الحوادث و أعظم الرجال: مصطفى كمال باشا- حركة الفاشت بإيطاليا- فصل السلطنة عن الخلافة- اكتشاف ضريح توت غنج أموت بمصر؛

8-العالم الاقتصادي: معلومات عالمية عامة عن الاقتصاد؛

---

[1] أحمد توفيق المدني: **تقويم منصور لعام 1342 م**، مطبعة العرب، تونس، دط، ج1، 1923.

[2] أمال معوشي، مرجع سبق ذكره، ص 203.

[3] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص ص 439-441.

9-القسم السياسي: معاهدة الإنجليز و شريف مكة- معاهدة لوزان و تفاصيلها- خلاصة الدستور المصري؛

10-عرائس الأفكار: قصائد مبتكرة للشعراء: الخضر حسين، الشاذلي خزنة الدار، صالح سويسي القيراواني، سعيد أبو بكر، صالح فرحات، تعريب السعيد الخلصي، الهادي المدني، حسين الجزائري؛

11-العملة: المكاييل، المقاييس، في كل جهات العالم؛

12-مطبوعات السنة: عرض لكل الكتب العربية التي نشرت خلال السنة في العلوم و الآداب؛

13-في عالمي الشرق و الغرب: تاريخ موجز لحوادث العالم يوما فيوما و شهرا فشهرا.

و زاد على الأبواب السابقة ما يلي:[1]

صحائف ربة المنزل، طبيب الدار، حياتنا الاجتماعية، قطرنا المغربي، بين المزارع و الحقول، عظماؤنا.

أما الجزء الثاني به 63 صورة و يشمل بين فصوله ما يلي:[2]

ترجمة أسد بن الفرات فاتح صقلية- الحركة و الاحسان عند الحيوان- الهيكل العظمي

و العضلات- لوحة بها كامل أعلام الدول بالألوان الطبيعية- مسابقة كيف يجب أن نربي أبنائنا و بناتنا للأساتذة: محمد الثميني، عثمان الكعاك، محمد النجار القسطنطيني- دخول الأتراك لإستنبول بعد النصر- الجنرال دي ريفيرا بإسبانيا- الجمهورية ببلاد اليونان- تفصيل عن البلاد التونسية و الجزائرية و المغربية- محمد بن عبد الكريم و ثورة الريف- ترجمة حياة عبد العزيز الثعالبي.

---

[1] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص 442.

[2] نفسه، ص 442.

و الجزء الثالث جاء به 67 صفحة فمن المواضيع التي تطرق لها في هذا الجزء مايلي:[1]

-بحث مستفيض عن القوة الكهربائية و مختلف استعمالاتها؛

-المجتمع التونسي في عهد الأغلبية للأستاذ الكبير عثمان الكعاك؛

-ترجمة للعلامة الشيخ سالم بوحاجب؛ – عالم الإسلام؛

– الجهاز اللاسلكي؛ – سوانح و مشاهدات بباريس؛

– الصحة البيطرية؛ – بلاد نجد و الملك ابن السعود.

أما الجزء الرابع فقام بإنجازه و تحريره و طبعه بالجزائر، فكانت مادته العلمية عزيزة و مادته الأدبية وافرة، و قد ضمنته بحوثا ضافية ممتعة عن المدينة العربية و عن العالم الاسلامي. و كان إقبال الشعب عليه عظيما، خاصة بالقطر الجزائري.

و ما كاد الكتاب يوزع بالمكاتب و تتناوله أكف القراء حتى تم تحجيره و منع تداوله و حجز ما يوجد منه في المكاتب.

فقد أبرز في هذا الجزء تاريخ جزيرة صقلية لأول مرة في اللغة العربية بصفة ظاهرة جلية، و قدمت عنه صورة ناصعة حقيقية في 50 صفحة مصورة.[2]

أما الجزء الخامس فيقول عنه المدني:" كان الجزء ممتازا، لا من حيث مادته و ترتيبه و ابتكاراته فقط، بل من حيث طبعه أيضا ".[3]

بعد أن انتهى من إصدار الجزء الخامس، طرح مشروع جائزة سنوية لمكافأة أحسن كتاب عربي صدر في المغرب العربي، تنشيطا لحركة التأليف، و إعانة للأدباء الذين يلجون باب التصنيف. فلقد نشرت في كل الصحف الصادرة بتونس و الجزائر و

---

[1] نفسه، ص 442.

[2] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، مصدر سبق ذكره، ص ص 123-124.

[3] نفسه، ص 225.

المغرب، و عنها نقلت الكثير من صحف مصر و الشام و العراق، بيانا عن هذه الجائزة، الذي جاء نصه كما يلي:" جائزة تقويم المنصورلتنشيط حركة التأليف العربي في شمال أفريقيا 1000 فرنكا كل سنة "،[1] و هذا اقتداء برجال النهضة الأوروبية الذين أسسوا جائزات سنوية، تعطى للمؤلفين المجيدين خلال العام فعزمت على تأسيس جائزة تقويم المنصور ابتداءا من سنة 1349 ه الموافق ل 1930 م، ينالها آخر كل سنة هجرية الكتاب الذي تتفق لجنة الجائزة على أنه أكثر الكتب فائدة لشعب شمال أفريقيا، على شرط أن يكون مؤلفه من أهل الشمال الإفريقي، و أن يكون مطبوعا بهذه الديار.[2]

3. قرطاجنة في أربعة عصور أو تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي[3]

قام بنشره سنة 1927 م بتونس، تضمن 176 صفحة.[4] حيث يقول المدني:" أنجزت تحرير الكتاب و تنقيحه و تبييضه، و اخترت له أبدع الصور الأثرية التي لم يسبق نشرها إطلاقا في اللغة العربية، و طبعت له مصورا جغرافيا لكامل المغرب العربي كبير الحجم، واضح الشكل، كتب بخط الأخ عمر راسم الجميل، و قدمته للطبع بتونس في دار المطبعة الأهلية، ثم أعلنت عنه في الصحف بالشمال الإفريقي عامة ".[5]

توزع الكتاب على مقدمة و أربعة أجزاء، فقد استعرض في المقدمة وصف بلاد المغرب من حيث الجغرافيا الطبيعية و البشرية، و خص القسم الأول لدولة قرطاجنة فتحدث عن نظامها السياسي و علاقاتها مع البربر، و الحياة العلمية و الأدبية على أيامها، و دخولها في صراع مع روما، و ما ميَّز ذلك من حروب و تطورات إلى أن تم تخريب قرطاجنة، مفسرا عوامل ازدهارها و خرابها.

---

[1] نفسه، ص 227.

[2] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، ص 228.

[3] أحمد توفيق المدني: **قرطاجنة في أربعة عصور من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي**، دار البصائر، الجزائر، دط، 2009.

[4] عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر**، مرجع سبق ذكره، ص 106.

[5] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، مصدر سبق ذكره، ص ص 161-162.

أما القسم الثاني خصصه للحديث عن قرطاجنة على عهد الحكم الروماني، و ما وقع من حروب بين البربر و الرومان، و عن الحياة السياسية و النظم الرومانية ثم أبرز نتائج الاحتلال الروماني، و في القسم الثالث تطرق لقرطاجنة الوندالية مبينا سياسة الوندال التخريبية بالبلاد أن اصطدموا بالروم الذين ورثوا إفريقيا الشمالية، و كان القسم الرابع عن الرومان و حالة البربر في عهدهم و مجيء الفتح الإسلامي العربي، الذي استعرض سيره إلى سقوط الكاهنة، ثم الخاتمة و كانت عن العرب و البربر و أسباب تقبل البربر للإسلام.[1]

و من دوافع تأليف الكتاب ذكر المدني أنها جاءت استجابة لإدارة بعض أقطاب الحركة الإصلاحية أمثال " عبد الحميد بن باديس " و " الإبراهيمي " و " الميلي " خلال شهر جوان 1925 م، حيث طلب منه الرد على مزاعم بعض الكتاب الغربيين و الفرنسيين الذين قاموا بدعاية مشوهة لهوية و أصالة المنطقة المغاربية، و خاصة ما قام به " لوي برتران " عضو المجلس العلمي الفرنسي آنذاك الذي أراد إثبات لاتينية بلاد المغرب.[2]

4. كتاب الجزائر

أصدر هذا الكتاب سنة 1931 م، يحتوي على 382 صفحة مصحوبا بالمصور الجغرافي " خارطة " ذي سبعة ألوان من مقاس 88 * 56.[3] حيث سجل في صفحاته تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى سنة 1930 م،[4] فقد جاء هذا الكتاب كرد على الإحتفالات المئوية للإستعمار الفرنسي قصد ابراز المقومات الثقافية التاريخية للأمة

---

[1] عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر**، مرجع سبق ذكره، ص ص 106-107.

[2] نفسه، ص 107.

[3] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، مصدر سبق ذكره، ص 288.

[4] حاج عبد القادر يخلف: **المؤرخ أحمد توفيق المدني و مذكراته " حياة كفاح "**، مجلة عصور الجديدة، ع 3-4، 2011-2012، ص 177.

الجزائرية، فالرسالة التي يتضمنها الكتاب أن هذه الأمة التي تكونت عبر التاريخ لن تتخلى عن قيمتها و سيادتها و حريتها.[1]

كان محتوى الكتاب شاملا لتاريخ البربر و النوميديين، و الغزوات الرومانية و الوندالية و الفتح الإسلامي في المغرب و الجزائر، و حرب الجزائر ضد إسبانيا، و قدوم العثمانيين و أخيرا الغزو الفرنسي.[2]

و توزع الكتاب على أربعة عشر قسما، يمكن تقسيمها إلى ثلاثة مواضيع هي: التاريخ و الجغرافيا و الحالة الراهنة (1930 م)، فموضوع التاريخ يضم ستة أقسام و هي تتحدث عن تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى 1930 م، و رافقها ذكر التاريخ العلمي و الأدبي في بلاد الجزائر، و قدم خلاصة عن العصر البربري من حيث أصوله و عوائده و نظمه و قبائله، ثم العنصر العربي بنفس الكيفية بالإضافة إلى التعرض لسكان الجزائر.

أما الجغرافيا فضمت قسميين السابع و الثامن؛ حيث قدم بطاقة تعريفية للطبيعة الجزائرية من حيث الموقع و المساحة و المدن و القرى، أما الأقسام المتبقية فتحدث فيها عن الحكومة المركزية و الإدارات العامة في الجزائر بالإضافة إلى المجالس المنتخبة فيها و الوضعية السياسية و القضائية و التعليمية، و الحالة الاقتصادية العامة.[3]

و ذكر المدني أهم النقاط التي تتعلق بنشر الكتاب و التي جاءت كما يلي:[4]

أولا: أنه تعمد أن يطبع الكتاب بالعاصمة الجزائرية من أجل تسجيل اسم الجزائر ضمن أسواق الطباعة العربية؛

---

[1] محمد غالم:**براديقما المقاومة في الخطاب التاريخي الإصلاحي " أحمد توفيق المدني نمودجا** "، مجلة العصور الجديدة، ع 3– 4، ع خ، خريف2011–شتاء 2012، ص 195.

[2] أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، دار البصائر، الجزائر، دط، 2009، ص 13.

[3] نفسه، عرض الباحث.

[4] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، مصدر سبق ذكره، ص ص 298–300.

ثانيا: أنه كان قليل المال، لم يكن يسعى إطلاقا لجمعه و الإحتفاظ به، فعمد إلى الإعلان عن الكتاب بصفة موسعة و طلب إلى الشعب أن يشترك فيه و قدم له بيانات عن محتوياته. و ما كاد ينقضي شهران على ذلك الإعلان حتى كان قد جمع لديه من المال ما غطى كامل مصاريف الطباعة و مصاريف الخريطة و هي باهضة. و اعترافا بفضل الشعب الجزائري وضعت على واجهة الكتاب بالخط العريض:"طبع بنفقة الأمة الجزائرية"؛

ثالثا: فكيف نجا الكتاب من بين براثن الإستعمار، و كيف أخرج للناس؟ حيث قال المدني كنت أسجل كل يوم ما يأتيني من الاشتراكات مهما بلغ مقدارها، فوق سجل رسمي، ثم أكتب في نفس اليوم عناوين المشتركين فوق ورق مصمغ، و أسجلها فوق طباعة الكتاب و تجليده أوصى دار التجليد أن تجهز له أعداد ملفوفة من النسخ توازي عدد المشتركين فألصق العناوين التي سجلها بالنسج الملفوفة حسب أرقام تسجيلها.

فكان يحمل الكتاب فوق غلافه شعار جمعية العلماء: الإسلام ديننا، الجزائر وطننا، العربية لغتنا.[1]

5. المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب ايطاليا

صدر سنة 1946 م يضم 283 صفحة،[2] حيث قسمه إلى تسعة أقسام حيث شملت الأقسام الثلاث الأولى وصف لجزيرة صقلية من الناحية العمرانية و الطبيعية، كما أعطى موجزا لتاريخ جزيرة صقلية من أقدم عصورها بداية من الفينيقيون إلى الحكم الإيطالي، بالإضافة إلى أهم مدنها و القرى و المعالم و الآثار، أما الأقساة الرابعة و الخامسة و السادسة تحدث فيها عن الحكم الإسلامي، و استعرض في القسم السابع نفوذ الحكم المسيحي الروماني و أهم الأحداث إلى غاية إخراج المسلمين من صقلية،

[1] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، ص ص 301-302.

[2] نفسه، ص 482.

أما القسم الثامن تحدث فيه عن التمدن و العمران و في القسم الأخير تناول العلوم و الآداب.[1]

و بعد صدور الكتاب كتبت " البصائر " تقول:" كتاب جلا فيه مؤلفه صحيفة من صحائف الفتح الإسلامي، و سد به نقصا طالما شعر به الباحثون في تاريخ الإسلام كلما انتهى بهم البحث إلى تلك الحقبة من الزمن، في تلك القطعة من الأرض، فأعوزتهم الوثائق و المستندات....و عسى أن يكون كتاب الأستاذ المدني حافلا لهمم الباحثين حتى يصلوا ما إنقطع من هذه المباحث ".[2]

و قد وصفه " محمد قنانش " قائلا:" إن هذا الكتاب تحفة ناذرة و درة نفيسة في جبين التاريخ الإسلامي، فهو معلمة تاريخية و أدبية عن جزيرة صقلية ".[3]

و قال " المدني ": فكان في تلك الآونة واحة زاهرة وسط بيداء قاحلة، و تقبله الشعب سواء بتونس و الجزائر أو بالمغرب بموجة من الإبتهاج عن نظيرها، و أفسحت له الصحف و المجلات أبوابه و نشرت عنه العديد من الدراسات المركزه. و أولع رجال الاستشراف بنقده و التنويه به ".[4]

كما كتب " ابن حميدس " أبياتا من الشعر رثاءًا لصقلية و كانت كالتالي:

صقلية كان الزمان بلادها و كانت على أهل الزمان محارسا

فكم من أعين بالخوف أمست سواهراً و كانت الأمن عنهم نواعسا

أرى بلدي قد سامه الروم ذلة و كان بقومي عزه متقاعسا

---

[1] أحمد توفيق المدني: **المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب ايطاليا**، دار البصائر، الجزائر، دط، 2009، عرض الباحث.

[2] عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر**، مرجع سبق ذكره، ص 114.

[3] نفسه، ص 114.

[4] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، مصدر سبق ذكره، ص ص 482-483.

عدمت أسوداً منهم عربية ترى بين أيديها العلوج فرائسا.[1]

6. أبطال المقاومة الجزائرية

كتاب جاء فيه 15 رسالة مع تسلسلها التاريخي لحقبة الجهاد الشريف ضد العدوان الفرنسي الآثم الدنيء. فمن هذه الرسائل ما يلي:[2]

- رسالتان لحمدان عثمان خوجة، موجهتان إلى إستانبول؛
- ست رسائل لأحمد باي قسنطينة، موجهة لإستامبول؛
- رسالة من أهل العقد و الحل بقسنطينة، للباب العالي؛
- رسالة من أحمد باي قسنطينة، لوالي طرابلس الغرب؛
- رسالة من أحمد باشا باي تونس، لأحمد باي قسنطينة؛
- رسالة من مصطفى صاحب الطبع لأحمد باي قسنطينة؛
- رسالتان من الأمير عبد القادر للباب العالي؛
- رسالة من الأمير عبد القادر، إلى حمدان عثمان خوجة.

7. جغرافية القطر الجغرافي

طبع بالجزائر سنة 1948 م و هو أول كتاب من نوعه باللغة العربية، موجه إلى طلبة المدارس التي تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين،[3] و قد جاء في تقديم المدني لكتابه قوله:" فهذا أول كتاب جغرافي، وضع عن القطر الجزائري المحبوب ".[4]

تميز أسلوب الكتاب الذي جاء في 143 صفحة بالوضوح و بالعرض الممتاز الذي يدفع إلى القراءة و المطالعة، تضمن معلومات مركزة و إحصائيات، و جداول حديثة

---

[1] أحمد توفيق المدني: **المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب ايطاليا**، مصدر سبق ذكره، ص 263.

[2] أحمد توفيق المدني: **أبطال المقاومة الجزائرية**، دار البصائر، الجزائر، دط، 2009، ص ص 18-19.

[3] عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر**، مرجع سبق ذكره ، ص 114.

[4] أحمد توفيق المدني: **جغرافية القطر الجزائري**، دار البصائر، دط، 2009، ص 17.

على شاكلة الكتب العصرية، و قد رسم المؤلف على صفحة الغلاف الشعار الثلاثي (الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا).[1]

شمل الكتاب ثلاثة أقسام و هي كالتالي:[2]

القسم الأول: الجغرافيا الطبيعية

فتحدث فيه عن موقع القطر الجزائري و مساحته، و حدوده و وصف تضاريسه، مناخه و جميع الإمكانيات الطبيعية التي تتميز بها الجزائر؛

القسم الثاني: الجغرافية الاقتصادية

استعرض فيه الناحية الاقتصادية مبرزا فيها الخيرات الفلاحية التي تزخر بها الجزائر بالإضافة إلى الماشية (الثروة الفلاحية) و المعادن و المناجم بالإضافة إلى الصناعات الأخرى كالتجارة و الحرف و المواصلات بالسكك الحديدية و الطرق الكبرى؛

القسم الثالث: الجغرافية السياسية

استعرض هذا القسم الحالة السياسية فقدم إحصائيات لعدد السكان، المجالس المنتخبة، النظام القضائي، التعليم العمومي و العمالات الجزائرية و أشهر مدنها.

حيث جاء في قول المدني:" قدمت للشعب الجزائري أول كتاب عن جغرافية الشعب الجزائري. كان مزدانا بالصور و الرسوم الجغرافية و قد أعطى وصفا كاملا شاملا للبلاد الجزائرية، طبيعيا و سياسيا و اقتصاديا. قدمته للشباب الجزائري هكذا ".[3]

كما خاطب الشبان الجزائري موجها رسائل سياسية عميقة فكتب:" لقد وهبك الله وطنا من خير ما وهب للأمم من أوطان: طيب في المناخ، و جمال في المنظر، و ثروة في الأرض، و شرف في الأصل، و مجد تالد و طريف ".[4]

---

[1] عبد القادر خليفي، مرجع سبق ذكره، ص 115.

[2] أحمد توفيق المدني: **جغرافية القطر الجزائري**، مصدر سبق ذكره، عرض الباحث.

[3] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، مصدر سبق ذكره، ص 548.

[4] نفسه ، ص 548.

8. مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر

الكتاب عبارة عن تحقيق لمذكرات نقيب الجزائر، صدر بالجزائر سنة 1974 م و جاء في 196 صفحة.[1]

جاء في مقدمة الكتاب أسباب تأليف المدني لهذا الكتاب، حيث قال:" إنني، حين أقدم هذا الكتاب للشعب الجزائري، الحر، المناضل، إنما أقوم بأداء واجبين أكيدين: أولهما: أنني أضع وثيقة جديدة، صادقة في سجل تاريخ العهد العثماني الطويل بهذه البلاد الجزائرية، و ثانيهما: أنني أفي بعهد قطعته لسيد فاضل من رجال الجزائر القدماء، هو الشيخ سيدي محمود الزهار، نقيب الأشراف الأخير، عندما تسلمت منه هذه المخطوطة من الكتاب، و انتزعناها انتزاعا من سيد مسيو ميرانت الذي كان يلح من أجل تسليمه نسخة من أجل الاستيلاء عليها و إعدامها أو على الأقل الاحتفاظ بها في حقيقة الأمر ."[2]

و مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار منقسمة إلى قسمين هما:[3]

القسم الأول: فهو مكتوب فوق دفتر حسابات عائلية، استغرقت في أوله ست صفحات، ثم كتب بعدها بالقلم الأحمر و بعد هذه السطور التي خطت بالأحمر نجد 13 صفحة بيضاء (فهناك احتمالان الأول أن المؤلف ترك الصحف بيضاء ليسجل فوقها خلاصة تاريخ الباي لرباي، و الباشوات الذين تداولوا الحكم، إلى سنة 1168 ه، أما الاحتمال الثاني هو أنه ذكر ذلك التاريخ مفصلا في دفتر آخر)، ثم نجد بعدها النص الذي يتعلق بسيرة و أعمال الدايات الذين تولوا كرسي الجزائر من سنة 1168 ه إلى النهاية المؤلمة و يعود خلال ذلك لذكر بعض الحسابات العائلية.

---

[1] عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر**، مرجع سبق ذكره، ص 118.

[2] أحمد توفيق المدني: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، دار البصائر، دط، 2009، ص 17.

[3] أحمد توفيق المدني: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، مصدر سبق ذكره، ص ص 23-24.

أما القسم الثاني: و هو القسم الوحيد الذي نجا، كما ذكرنا سابقا في أسباب تأليف الكتاب، حيث يمثل الكتاب الأحداث التاريخية التي وقعت في النصف الثاني من القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر إلى غاية وقوع الاحتلال، حيث عرض المحقق "المدني" الكتاب بطريقة سهلة، حيث عمل على وضع العناوين التي لم تكن موجودة و قام بالتعليق عليهم أحيانا.

و ذكر" المدني " أن للمذكرات قسما ثالثا يتعلق بحوادث الاحتلالالرهيب و ما صاحبها من قتل و ظلم و إرهاق، ثم حوادث المقاومة العظيمة المشرفة للجزائريين و للعرب كافة، و التي قام بها بطلان مغواران هما: الحاج أحمد باي في قسنطينة و الحاج عبد القادر بن محي الدين، و فالأخير ذكر عوائد أهل مدينة الجزائر.

9. محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 م: صورة الوجود العثماني بالجزائر في مواجهة جرائم التمدين الأوروبي المروجة

صدر الكتاب سنة 1937 م، و يقع في 191 صفحة،[1] فكان هذا الكتاب أول كتاب أماط اللثام عن حقيقة الوجود العثماني التركي بهذه البلاد، نسف تلك الخرافات و الأكاذيب التي اختلقها الاستعمار من أجل تشويه هذا الوجود، و بين فكره بكل صراحة و جلاء عن ذلك العهد المظلوم، فكان الكتاب مفاجأة للناس، و مناراً للباحثين، و لطمة قاسية في وجه الاستعمار.[2]

اشتمل الكتاب على إهداء إلى العالم العامل عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث قال المدني:" إلى الرجل الذي أيقظ أمة، و أنشأ جيلا، و ربط ماضي الوطن و حاضره و هيأ له مستقبله في ميدان العلم و الشرف، فكان شخصه الكريم نقطة الاتصال بين الجزائر الغابرة الماجدة، و الجزائر الحاضرة

[1] عبد القادر خليفي: **الكتابات التاريخية و بعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية**، مرجع سبق ذكره، ص 203.

[2] أحمد توفيق المدني: **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، مصدر سبق ذكره، ص 18.

الماجدة، و الجزائر المقبلة الخالدة ".[1] و اشتمل أيضا على تمهيد لدراسة تاريخ العصر التركي بالجزائر،[2] حيث عرض صورة عن محتوى الكتابات التي عنيت بالحقبة العثمانية في الجزائر و لاسيما تلك الدراسات التي نشرها المؤرخون الأوروبيون، في ظل ندرة المصادر العربية، لما لحق بها من مصادرة و تدمير ممنهج على يد المحتلين الأوروبيين حيث انفرد هؤلاء بتصويرها بطريقة متحيزة بل مغرضة، حتى أنه يخيل إليك أن القطر الجزائري أثناءها لم يكن سوى مغارة من مغاور السفاكين و ملجأ يركن إليه السفاحون من لصوص البحر و البر، و مرتعا للمظالم و انتهاك الحرمات، بينما كان غيره من بقاع العالم يعيش في بحبوحة الأمن و يسبح في بحار الحرية و العدل.[3]

بالإضافة إلى أربعة أقسام؛[4] عرض القسم الأول خلاصة عن الولاة و الحوادث في العصر التركي من عام 1515 م إلى عام 1830 م، و خصص القسم الثاني للحديث عن سيرة الداي محمد عثمان باشا، أما القسم الثالث فنقل إلينا من خلاله مقتطفات من " دفتر تشريفات " الرسمي فدفتر تشريفات هو اسم السجل الرسمي الحكومي الذي كانت الإدارة التركية الجزائرية ترسم فيه أعمالها و مذكراتها العامة و ما تقرره من نظم و قوانين،[5] و عالج في القسم الأخير مقتطفات من مذكرات فونتير دي بارادي المتعلقة بعصر عثمان باشا.

و بعد ظهور الكتاب أقرضه الإمام " عبد الحميد بن باديس " في ركن ثمار العقول و المطابع بمجلة الشهاب قائلا:" هذا اسم السفر الجليل الذي ألفه الأخ الأستاذ أحمد توفيق المدني، لخص فيه تاريخ الجزائر التركي، و بين حالتها الاجتماعية و الأدبية و

---

[1] أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791 م**، دار البصائر، الجزائر، دط، 2009، ص 17.

[2] نفسه، ص 18.

[3] عبد القادر خليفي: **الكتابات التاريخية و بعث الوطنية الجزائرية في ظل الحقبة الكولونيالية**، مرجع سبق ذكره، ص 204.

[4] أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، مصدر سبق ذكره، عرض الباحث.

[5] نفسه، ص 175.

السياسية بأسلوب بديع، جمع الفصاحة و التناسق، و عرض للتاريخ بين دلائل العلم و مباهج الفن و بروح إسلامية لا تعرف إلا الصدق، عربية لا تفارقها العزة و الشهامة، و إذا كان الوطن هو تاريخ الوطن...و لا حياة لأمة إلا بإحياء ماضيها....فالأخ الأستاذ المدني بكتابه هذا، لم يكن كتابا بليغا و مؤلفا مبدعا و مؤرخا حكيما فحسب، بل كان فوق ذلك من خير من بعثوا أوطانا و أحيوا أمما ".[1]

10. هذه هي الجزائر

نشر في عام 1956م، بعد وصوله إلى القاهرة لتتعرف من خلاله الشعوب العربية على الشعب الجزائري، تاريخه و كفاحه[2] في وقت كان المشارقة يجهلون الكثير عن الجزائر.

و من أسباب تأليف المدني لهذا الكتاب ما جاء في قوله في تمهيده:" ثم إني قد استجبت في تأليفه، لرغبة عربية وطنية كريمة، أبداها أخ ألا و هو المجاهد الكبير الأستاذ محمد فؤاد جلال، و تلبية لهذه الرغبة أقدم لعالم العروبة و لأقطار الإسلام، هذا الكتاب، و أرجو أن يكون وسيلة تزداد بها روابط الأخوة و التضامن و الكفاح، بين العالم العربي الناهض، و بين شعب الجزائر المجاهد.."[3] و أهداه إلى شهداء الثورة التحريرية.[4]

---

[1] عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر**، مرجع سبق ذكره، ص 112.

[2] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، مصدر سبق ذكره، ص 16.

[3] أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، دار البصائر، الجزائر، دط، 2009، ص ص 20-21.

[4] نفسه، ص 17.

حيث أن الكتاب يصف الحالة الحقيقية للقطر الجزائري فهو يعتمد على الصادق من أبناء التاريخ، و على الثابت من أرقام الإحصاء فقد قسم الكتاب إلى ستة أقسام و هي كالتالي:[1]

تطرق في القسم الأول إلى التعريف بالبلاد الجزائرية من اسمها، ساحلها، حدودها، مساحتها و طبيعة الأرض الجزائرية بالإضافة إلى صحرائها و الوديان، الأنهار، السدود و الغابات، أما القسم الثاني فبين فيه الإحصاءات لسكان القطر الجزائري من عرب و أمازيغ (البربر)، الفرنسيون و أخيرا اليهود، و القسم الثالث جاء تحت عنوان ما يجب أن يعرف عن تاريخ الوطن الجزائري بداية من الفينقيون إلى الاحتلال الفرنسي و المقاومة الجزائرية من الشرق بقيادة أحمد باشا إلى الغرب بقيادة الأمير عبد القادر و كذلك ذكر فظائع و أهوال و موبقات الاحتلال الفرنسي بالجزائر.

و جاء في القسم الرابع تحت عنوان تحطيم أمة ذكر فيه الحكومة- الإدارة –المجالس بالإضافة إلى الإستعمار الفرنسي الذي جرد الجزائريين من أراضيهم ثم الفلاحة (الأعناب القمح، الشعير، الدخان، الحلفة، الزيتون، النخيل، التين، الماشية) و الثروات المعدنية و الصناعة، التجارة و كذلك تطرق إلى النتائج الاقتصادية المأساوية من بطالة و هجرة، و أجور، مسكن...الخ، و القضاء و سياسة التجهيل و الدين الإسلامي أما القسم الخامس فتحدث فيه عن المقاومة الحربية و المقاومة السياسية في دورها الأول و الثاني، و في القسم الأخير تحدث عن الثورة الجزائرية الكبرى.

11. حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492-1792 م

صدر سنة 1968 م يحتوي على 496 صفحة، حيث يحتوي بين سطوره أحداث الغزو الصليبي الاستعماري الإسباني للجزائر، و ما كان لذلك الغزو من أسباب و ما ترتب عنه من نتائج و ما اقترن به طيلة ثلاثة قرون (1492-1792 م) من ملابسات و

[1] نفسه، عرض الباحث.

تطورات، بالإضافة إلى الوقائع الحربية و السياسية التي حدثت آنذاك، بالإضافة إلى اللجوء إلى الدولة العثمانية لتقديم المساعدة و طرد هذا الاستعمار الإسباني المتوحش.[1]

و من الأسباب التي دفعت أحمد توفيق المدني لكتابة كتابه هذا ما جاء في قوله:" لقد اخترت هذا الموضوع بالذات؛ لأنه يتعلق بميلاد الدولة الجزائرية الحقيقية لأول مرة في تاريخنا، دولة ذات معالم معينة، و حدود مرسومة، فوق تراب الوطن تشكلت منه أرض الوطن و تكونت فوقه وحده سياسية و اقتصادية و اجتماعية و دينية، و قامت على رأسه دولة، فاخترت هذه الدولة في ميادين الكفاح و الجهاد ثلاثة قرون سائرة ضمن دائرة الخلافة العثمانية نحو استكمال السيادة المطلقة و تحقيق الاستقلال التام ".[2]

جاء محتوى الكتاب في تمهيد طويل عن الثلاثة قرون التي صلت الجزائريين بالعثمانيين، و تسعة عشر فصلا، جعل تحت كل فصل عناوين فرعية، نظمت بطريقة مدرسية تساعد القارئ المتسرع على العثور على ما يريد.[3]

تطرق في فصول كتابه إلى القرصنة و الهجمات الغربية على الجزائر العاصمة و يصف المحاولات العسكرية العثمانية من أجل استعادة قاعدتي وهران و المرسى الكبير من أيدي الإسبانيين، يعرض للعلاقات بين الأستانة و الإيالة و الدول الغربية التي كانت تسعى إلى عقد الصلح، كل ذلك للتأكيد على أن الدولة الجزائرية كانت ذات هيبة و أن أسطولها البحري مرهوب الجانب و أن قراصنتها كانوا أبطالا شجعانا.[4]

---

[1] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492- 1792 م**، دار البصائر، الجزائر،ط1، 2007، ص 5.

[2] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و اسبانيا 1492- 1792 م**، مصدر سبق ذكره، ص ص 5-6.

[3] عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر**، مرجع سبق ذكره، ص 116.

[4] محمد غالم، مرجع سبق ذكره، ص 200.

و حسب رأي شيخ المؤرخين " أبو القاسم سعد " حول الكتاب ما جاء على لسانه:" الكتاب قطعة عمل هامة يجد فيها الباحث المتخصص آراء مضيئة، و يجد فيها الطالب و المثقف العادي مادة تستثير الذهن، و تلهب العاطفة و ترسم الاتجاه ".[1]

12. حياة كفاح (مذكرات)

نشر أحمد توفيق المدني مذكراته في نهاية السبعينيات في ثلاثة أجزاء، حيث تناول في كل جزء محطات تاريخية لها صلة به و بقضايا عصره.[2] فقد صدرت الأجزاء بتواريخ مختلفة.[3] تناول في هذه المذكرات أربعة أقسام أساسية كبرى و هي كما يلي:[4]

القسم الأول: في تونس منذ الولادة إلى سنة 1925 م؛

القسم الثاني: في الجزائر من سنة 1925 م إلى سنة 1954 م؛

القسم الثالث: خلال الثورة من سنة 1954 م إلى سنة 1962 م؛

القسم الرابع: بعد الثورة المسلحة من 1962 م إلى اليوم.

الجزء الأول: مذكرات حياة كفاح منذ الولادة إلى سنة 1925 م

تناول هذا الجزء حياة أحمد توفيق المدني في تونس من 1889 م إلى 1925 م، وصف فيه بيته و بيئته الأولى و حياته و مرحلة الصبا، تعليمه، شبابه، حبه لبلده، و نزعة الثورة التي كبرت معه من أحاديث خاله و أبيه و جده بالإضافة إلى كتاباته الأولى في الصحافة المحلية التي لفتت إليه الأنظار و زجه في السجن و في الأخير نفيه إلى بلده الأصلي ألا و هو الجزائر.[5]

---

[1] عبد القادر خليفي: **أحمد توفيق المدني و دوره في الحياة السياسية و الثقافية بتونس و الجزائر**، مرجع سبق ذكره، ص 117.

[2] مولود عويمر: **مسألة التاريخ عند الأستاذ أحمد توفيق المدني**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد01، المجلد09، 2008، ص 108.

[3] أمال معوشي، مرجع سبق ذكره، ص 206.

[4] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، ص 28.

[5] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج1، مصدر سبق ذكره، عرض الباحث.

الجزء الثاني: مذكرات حياة كفاح في الجزائر من 1925 -1954 م

تناول فيه حياته الجديدة في بلده الأصلي الجزائر و إسهاماته في الحركة العلمية و الإصلاحية و خاصة رحاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تساهم في تأسيسها و تفعيل نشاطها الدعوي عبر القطر الجزائري و الصحفي، كما تناول نشاطه السياسي بعد الحرب العالمية الثانية و انخراطه في الكفاح الوطني.[1]

الجزء الثالث: مذكرات حياة كفاح الثورة التحريرية 1954 -1962 م[2]

تناول فيه مرحلة الثورة التحريرية و مساهماته فيها باعتباره عضوا بالهيئة السياسية للوفد الجزائري في القاهرة، و وزيرا للثقافة في الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية ثم وزيرا مفوضا في الجامعة العربية.[3]

الجزء الرابع: رد أديب على حملة أكاذيب[4]

و جاء هذا الجزء متمما لمذكراته فيها إفادات غير منشورة.[5]هذا الكتاب هو آخر ما كتبه الأستاذ أحمد توفيق المدني و هو كتاب جليل رد فيه هذا الأخير على من هاجموه ظلما و عدوانا و هو في آخر حياته.[6]

13. محاضرات في اللغة و الفكر و التاريخ

---

[1] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح**، ج2، مصدر سبق ذكره، عرض الباحث.

[2] أحمد توفيق المدني: **حياة كفاح (مذكرات) الثورة التحريرية 1954-1962 م**، دار البصائر، دط، ج3، 2009.

[3] مولود عويمر، مرجع سبق ذكره، ص 109.

[4] أحمد توفيق المدني: **رد أديب على حملة أكاذيب**، دار البصائر، الجزائر، دط، 2009.

[5]أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، مصدر سبق ذكره، ص 13.

[6] أحمد توفيق المدني: **كتاب " رد أديب على حملة أكاذيب "**، http://www.elmadani.org/ar، 2022/03/16، 12:38.

لقد جمع في هذا الكتاب سلسلة كتبه التي لم تنشر من قبل، فقسم الكتاب إلى أربعة أقسام و هي كالتالي:[1]

القسم الأول: أبطال و رجال

تحدث في هذا القسم عن رجال الثورة التحريرية الكبرى و أبطالها و نذكر منهم:[2]

عبد الحميد بن باديس، البشير الإبراهيمي، مبارك ميلي، المجاهد أبي اليقظان، عقبة بن نافع، عبد المؤمن بن علي، صالح أزميرلي، العلامة عبد الرحمن الثعالبي، ابن خلدون، و المجاهد شكيب أرسلان.

القسم الثاني: تاريخ أصيل

تناول فيه محاضرات عن التاريخ الإسلامي في الجزائر بالإضافة إلى انهيار بلاد الأندلس و موقف بلاد الإسلام و تركيا من ذلك و تطرقوا إلى مدينة تلمسان بين الدولة الزيانية و الدولة العثمانية و بجاية بين الإسبان و العثمانيين، كما ألقيت محاضرة عن الوجود التركي بالبلاد الجزائرية.[3]

القسم الثالث: استطلاعات

هي محاضرات ألقيت عن صقلية العربية الإسلامية و الإسلام بالجمهورية التركية و أخيرا الإسلام ببلاد باكستان.[4]

القسم الرابع: آراء و أفكار

احتوى على مجموعة من المحاضرات، و كانت كالتالي:[5]

- ❖ نظرة إلى المستقبل الوضاء؛

---

[1] أحمد توفيق المدني: **محاضرات في اللغة و الفكر و التاريخ**، مصدر سبق ذكره، ص 18.

[2] نفسه، ص 21.

[3] نفسه، عرض الباحث.

[4] أحمد توفيق المدني: **محاضرات في اللغة و الفكر و التاريخ**، مصدر سبق ذكره، ص ص 101-102.

[5] نفسه، ص 19.

- ❖ اللغة العربية في حاضرها و مآلها؛
- ❖ عيد العلم...و لجنة التعريب؛
- ❖ الحضارة الرستمية الإسلامية....حضارة مستمرة؛
- ❖ ثورة التحرير الجزائرية؛
- ❖ كلمات من صميم اللغة العربية....لا تستعمل إلا في مدينة الجزائر؛
- ❖ الجزائر و المدينة العربية الإسلامية؛
- ❖ لغة الصحافة بالقطر الجزائري.

الفصل الثالث:

المدني و التاريخ العثماني في الجزائر

لأمد بعيد ظلت المصنفات الأوروبية و الوثائق الأجنبية السبيل الوحيد لدراسة تاريخ الجزائر في العهد العثماني،[1] كما اختلف الباحثون العرب في نظرتهم التحليلية لطبيعة الدولة العثمانية؛ فمنهم من رأى أنها أعادت وحدة المسلمين و لمت شملهم و أعادت وحدة المسلمين و لمت شملهم و رفعت راية الإسلام عاليا، و منهم من اعتبرها دولة استعمارية لا تختلف عن دول أوروبا التي استغلت ثروات الشعوب التي خضعت لها.[2]

و في هذا الصدد سندرس نظرة المدني للوجود العثماني في الجزائر.

المبحث الأول: جهود المدني في جمع الأرشيف العثماني

1-التعريف بالأرشيف العثماني في الجزائر

1-1 تعريف الأرشيف

أ- لغة:

هي كلمة من أصل يوناني " Arkheria" و المنبثقة من مصطلح Archeioin الذي يقصد به المكان الذي كان يحوي الوثائق العمومية في القرن الخامس قبل الميلاد، كما كان يسمى " أرشيفوم " "Archivum" بالأثينية و معناها الورقة، أرشيف "Archves" أو "Records" بالإنجليزية، أرشيف أو وثائق، أو محفوظات باللغة العربية.[3]

---

[1] هلايلي حنيفي: **أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، مرجع سبق ذكره، ص 101.

[2] مسعود بقادي: **دور الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ الجزائر العثمانية من خلال كتابات الدكتور عبد الجليل التميمي**، مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية،مجلة دورية دولية محكمة، ع 09، دت، ص ص 131-132.

[3] عبد الباقي بركاني: **الأرشيف الجزائري المحفوظ في دور الأرشيف الوطني التونسي و دوره في كتابة تاريخ الجزائر**، مجلة بيليوفيليا لدراسات المكتبات و المعلومات، ع 1، مج 3، 2021، ص 126.

ب-اصطلاحا:

عرفت الموسوعة العالمية الأرشيف على أنه:" مجموع الوثائق الناتجة عن نشاط هيئة أو شخصية مادية أو معنوية ".[1]

و عرف أيضا على أنه:" مجموع الوثائق الناتجة عن نشاطات عديدة الجهات سواء كانت هيئات، أو مؤسسات، أو أشخاص لتصبح لبعضها قيمة تاريخية بالغة فتحتفظ بها في مراكز الأرشيف ".[2]

2-1 تعريف الأرشيف التاريخي

يقصد به الوثائق التي أكدت قيمتها الدائمة، و هذا نظرا لأهميتها التاريخية و العلمية، و يضم مختلف الوثائق الهيئات و الأفراد الذين لم يعودوا بحاجة إليها.

و يعتبر الأرشيف التاريخي أهم الوثائق بالنسبة للمعلومات، و المصدر الرئيسي للمعلومات التاريخية، و من هنا وجب الاهتمام بهذه الوثائق من حيث التنظيم و الترتيب و الهدف منها هو مساعدة الباحثين للوصول إلى معلومات مضبوطة، حيث تعتبر هذه الوثائق تراث الأمة و هوية الوطن من جهة و ذاكرتها من جهة أخرى.[3]

---

[1] عبد الإله عبد القادر: **رقمنة الأرشيف في الجزائر**، رسالة مفدمة لنيل شهادة ماجستير، تخصص مانجمنت أنظمة المعلومات، قسم علم المكتبات و العلوم الوثائقية، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة وهران، 2007-2008، ص 25.

[2] حبيبة عليليش: **الأرشيف الوطني الجزائري مصدر فريد لدراسة التاريخ الجزائر إبان الفترة العثمانية**، المجلة المغاربية للمخطوطات، ع 06، جانفي 2018، ص 42.

[3] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 59.

3-1 تعريف الأرشيف العثماني

هو مجموعة المصادر التاريخية التي تعود إلى العهد العثماني حيث يتميز هذا الأرشيف بالعدد الضخم لوثائقه، فهو مرآة صادقة لدولة مركزية امتدت من أبواب فيينا إلى اليمن ومن الجزائر إلى العراق.[1]

4-1 وثائق الأرشيفي الجزائري العثماني

تكونت الوثائق العثمانية بالجزائر نتيجة التسجيلات المستمرة لأوامر و تعليمات و قرارات كانت تصدر عن حكام الدولة و موظفي البايلك، أو ترد عليهم من سلاطين الباب العالي و موظفيه، كما كان قسم منها ناتج عن نشاط وكلاء الدولة بالخارج أو قناصل و تجار الدول الأوروبية المقيمين بالجزائر، و قد وفرت هذه الوثائق معلومات تاريخية قيمة سواء كانت سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية مما جعل الرجوع إليها في غاية الأهمية، بحيث لا يمكن الاستغناء عن أية وثيقة منها.[2]

تمتلك مديرية الوثائق الوطنية الجزائرية مجموعة هامة من الوثائق تخص مدينة الجزائر في العهد العثماني و هي في مجموعها تتوزع على أربعة أصناف من الوثائق؛ و هي:[3]

أ. سجلات بيت المال

بيت المال هي مؤسسة يتصدرها موظف يعرف ببيت المالجي و هو المشرف على مصلحة الأملاك و الثروات التي تؤول إلى الدولة بعد موت أصحابها أو استبعادهم أو فقدانهم، فيما إذا انعدم ورثة شرعيون لهم من أخوة و أبناء و أقارب فمهمة بيت المالجي الأساسية هي تصفية الأملاك التي ليست لها ورثة معى الإشراف على مراسيم الدفن و أمور المقابر و بيع التركات و الأملاك التي ليس لها ورثة و مصادرة من

---

[1] هلايلي حنيفي: **مساهمة الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ العلاقات الجزائرية العثمانية في ضوء وثائق خط همايون و دفتر مهم (1519-1830)**، مجلة الحوار المتوسطي، ع 02، مج 09، سبتمبر 2018، ص 132.

[2] ناصر سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 59.

[3] مرجع نفسه، ص 85.

طرف السلطة الحاكمة، و كان بيت المالجي يباشر مهامه بمساعدة قاض يعرف عادة باسم الوكيل[1] و يساعده أربعة كتاب، يلقبون بالباش دفتارجي أو الخوجة.[2]

تحتوي سجلات بيت المال على أربعة و ستون سجلا موزعا على إحدى عشر علبة، أقدمها يعود إلى 1111ه / 1699 م.

أما عن إطارها الزماني فهي تغطي الفترة الممتدة من 1648 إلى 1826 م في حين أن إطارها المكاني يشمل بدوره الجزائر و الجهات القريبة منها.[3]

ب. دفاتر البايليك

البايليك و هو المقاطعات إذ أن ايالة أو ولاية الجزائر في الفترة العثمانية قد قسمت إداريا إلى أربع مقاطعات: دار السلطان، و ثلاثة مقاطعات – بايليكات – و هي بايلك الشرف، و بايلك الغرب، و بايلك التيطري.[4]

- **دار السلطان:** تشتمل العاصمة و ضواحيها و تمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا و يحدها بايلك التيطري جنوبا و البحر المتوسط شمالا، و تضم مقر الحكم (الوالي و الديوان).[5]
- **بايلك الشرق:** عاصمتها قسنطينة، و هو أكبر البايليكات من حيث المساحة و الثروة إذ يمتد إلى الحدود التونسية شرقا، و من الشمال البحر الأبيض المتوسط، و جبال البيبان حتى قرى بني منصور غربا، أما من الجنوب الغربي منطقة سيدي عيسى.[6]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص ص 167-171.

[2] سعيدة داودي و آخرون: **كتاب التاريخ للسنة الأولى من التعليم الثانوي**، الديوان الوطني للمطبوعات المدرسية، الجزائر ، دط، 2012، ص 100.

[3] حبيبة عليليش، مرجع سبق ذكره، ص 46.

[4] أرزيقي شويتام، مرجع سبق ذكره، ص 41.

[5] سعيدة داودي و آخرون، مرجع سبق ذكره، ص 94.

[6] عبد الجليل رحموني، مرجع سبق ذكره، ص 78.

- **بايلك الغرب:** عاصمتها معسكر،[1] يعتبر هذا البايلك ثاني بايلك من حيث الأهمية الاقتصادية و المساحة، يمتد من الحدود المغربية غربا إلى بايلك التيطري شرقا، و من البحر المتوسط شمالا إلى الصحراء الكبرى جنوبا.[2]
- **بايلك التيطري:** يعد هذا البايلك أصغر البايلكات من حيث المساحة، عاصمته المدية يحده من الشمال جبال بني صالح و بني مسعود و موازية، و شرقا بني سليمان عريب و أنورة، أما في الغرب قاعدة جندل و أولاد خليفة، أما الجنوب فامتد إلى عنابة.[3]

تتوزع دفاتر البايليك على 36 علبة تشمل عل 386 سجلا و هي في أغلبها تقاييد للأملاك الموقوفة " الوقفيات " و جداول النفقات و مداخل الخزينة و تسجيل للقضايا المتعلقة بالمعاملات و ضبط لأعمال المصالح الإدارية و الخدمات الاجتماعية و الاقتصادية، داخل مدينة الجزائر و خارجها، و منها قسم هام يتصل بقضايا الوقف و المعاملات الخاصة بالمدن القريبة من الجزائر، كالبليدة و القليعة و المدية و مليانة و شرشال، أو بأوطان دار السلطان القريبة من الجزائر (إقليم سهل متيجة)، أقدم المعلومات المسجلة بها تعود إلى عام 1085 ه/ 1675 م و جلها يرجع إلى أواخر القرن الثامن عشر و أوائل القرن التاسع عشر الميلادي.[4]

ج. وثائق المحاكم الشرعية

يضم هذا الرصيد مئة و ثلاثة و خمسون علبة، تحتوي كل علبة على أزيد من مئة وثيقة أو أكثر، تخص مدينة الجزائر و المناطق المجاورة لها، و تغطي هذه السجلات فترة زمنية معتبرة كانت تمتد من النصف الأول من القرن السادس عشر إلى النصف

[1] حسان كشرود، مرجع سبق ذكره، ص 181.

[2] عبد الجليل رحموني، مرجع سبق ذكره، ص 79.

[3] سعيدة داودي و آخرون، مرجع سبق ذكره، ص 94.

[4] عبد الجليل رحموني، مرجع سبق ذكره، ص 80.

الثاني من القرن التاسع عشر،[1] و إن كانت بعض العقود تعود إلى عام 1001 ه/ 1592 م و منها ما يرجع إلى سنة 1272 ه/ 1855 م.

و هي في غالبيتها عقود شرعية و أحكام قضائية تتعرض لقضايا الملكية و المعاملات المتعلقة بها من بيع و شراء و مخاصمات و إثبات نسب، بالإضافة تسجيلات عقود الزواج و الطلاق و تحديد للصداق و الإرث و الهبة و الشفاعة.[2]

د. خط همايون

خط همايون هو الاسم العام الذي يطلق على الأوامر الصادرة من السلاطين و بكتابة أيديهما و ما حرره الكتاب و أمضاه السلاطين كما أنه يطلق على التعليقات المدونة من لدن السلاطين على الملخصات المقدمة من الصدور العظام، إذن و بكل بساطة هو الأمر الملكي أو السلطاني الذي يصدره السلطان إلى رعاياه أو رجال دولته.[3]

تنقسم دفاتر الديوان الهمايوني إلى: دفاتر المهمة، و دفاتر الأحكام، و دفاتر الشكاوى، و دفاتر الدول الأجنبية، و دفاتر الجماعات الأقلية من غير المسلمين، و دفاتر أذون السفن، و دفاتر النفي و القصاص، و دفاتر التحرير.[4]

يضمهذا الرصيد سبعة و أربعين و ثلاثمائة وثيقة موزعة على خمسة و ثلاثون علبة،[5]هي عبارة عن وثائق مصورة من دور أرشيفات استانبول (خزانة قصر " توبكابي " و خزانة الباب العالي الرئيسية و خزانة وزارة الخارجية التركية).[6]

---

[1] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص ص 86-87.

[2] ليلى غويني: **الدراسات التاريخية الجزائرية في حقل الوثائق الرشيفية كتاب:" الحرف و الحرفيون لعائشة غطاس أنموذجا "**، مجلة الدراسات التاريخية الجزائرية، العدد 06، دت، ص 95.

[3] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص 88.

[4] خير الدين بربروس: **مذكرات خير الدين بربروس**، تر: محمد دراج، الأصالة للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2010، ص 66.

[5] حبيبة عليليش، مرجع سبق ذكره، ص 52.

[6]نفسه، ص 50.

2- المدني و جهوده في جمع الأرشيف العثماني

قام أحمد توفيق المدني في السبعينيات و بداية الثمانينيات بتصوير مجموعة هامة من الوثائق التركية، زاد عددها عن 3000 وثيقة.[1] و ذلك بناءا عن القرار الرئاسي سنة 1971 م، و الذي جاء في مضمونه تأسيس المركز الوطني للدراسات التاريخية و كان الهدف الأساسي من القرار الرئاسي هو جمع و جرد كافة أنواع المصادر و الوثائق و المحفوظات التي تكون صالحة لإعداد تاريخ عام للجزائر.[2]

إذ تم تعيين المدني مستشارا مؤرخا في المركز الوطني للدراسات التاريخية و مشرفا على القسم العثماني به،[3] كما تم إرساله بصفة رسمية إلى تركا نظرا إلى علاقته الوطيدة ببعض الرجال الأتراك، و بعد رحلات عديدة إلى استانبول مركز و مخزن الوثائق العثمانية تَمكن من الإتيان بما يقارب أربعة آلاف وثيقة عثمانية خاصة بتاريخ الجزائر أو شمال إفريقيا ووضعها بالمركز الوطني للدراسات التاريخية (المركز الوطني للأرشيف حاليا).

كانت تلك الوثائق مكتوبة باللغة العثمانية و لترجمتها إلى العربية[4] أسند المركز المهمة للأستاذ التركي فكري طونا،[5] و داوود التميمي و هي في أغلبها مراسلات متبادلة بين حكام الجزائر العثمانية و الباب العالي كما أنها تحتوي على معلومات حول العلاقات العسكرية بين الجزائر و الباب العالي التي تعود معظمها إلى أواخر العهد العثماني.[6]

---

[1] هلايلي حنيفي: **مساهمة الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ العلاقات الجزائرية العثمانية**، مرجع سبق ذكره، ص 138.

[2] أحمد بن نعماني: **دراسة الأرشيف العثماني المحفوظ في الجزائر وثيقة عهد أمان الجزائر 1748 م نموذجا**، المجلة الجزائرية للبحوث و الدراسات التاريخية، ع 5، مج 3، جوان2017، ص 221.

[3] محمد بن رمضان شاوش و الغوثي بن حمدان: **إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر**، مجلد 2، ج4، ص 723.

[4] أحمد بن نعمان، مرجع سبق ذكره، ص ص 221-222.

[5] مسعود بقادي، مرجع سبق ذكره، ص ص 133-134.

[6] هلايلي حنيفي: **مساهمة الأرشيف العثماني في كتابة تاريخ العلاقات الجزائرية العثمانية**، مرجع سبق ذكره، ص 138.

كما جاء في قول فكري طونا عن الشيخ أحمد توفيق المدني قائلا:" و قد أمضى المرحوم بقية أيامه من عمره منشغلا بهذه الوثائق حيث قام بتزيينها و تنظيمها و تصنيفها حسب التواريخ و السلاطين و الولاة بالجزائر، حتى انتهى من كل ذلك و لم يبق لديه إلا قضية تعريبها التي كانت تعتبر في نظره من أهم و أصعب أمورها و ذلك نظرا لصعوبة لغتها و تعقد خطوطها....تمكنا الحمد لله من تعريب نصف الوثائق الموجودة لدينا".[1]

تتكون الوثائق التي جلبها المرحوم الشيخ أحمد توفيق المدني من عدة دفاتر، مثل: دفتر خط همايون، دفتر إدارة، دفتر مهمة، دفتر السلاطين و دفتر الخارجية، و يمكن تقسيمها بشكل عام و بصورة مختصرة من حيث محتوياتها إلى ثلاثة أقسام و هي كالآتي:[2]

أولا: قسم يتعلق بما قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر و نعني بذلك الفترة التي تشمل الإدارة العثمانية من بدايتها إلى نهايتها بالاحتلال الفرنسي؛

ثانيا: قسم يتعلق بالأحداث و الأوضاع التي سادت بالجزائر أثناء محاولة الفرنسيين لاحتلالها سواء كانت هذه الأحداث بين الجزائريين و الفرنسيين من جهة أو بين الباب العالي و الفرنسيين أو الجزائريين من جهة أخرى؛

ثالثا: قسم يتعلق بالأحداث و الأوضاع التي ظهرت في الجزائر و خارجها كنتيجة إيجابية ضد الاحتلال الفرنسي: المساعي السياسية التي قادها السيد حمدان بن عثمان خوجة و الدولة العثمانية، و مقاومة الأمير عبد القادر و الحاج أحمد باي.

المبحث الثاني: موقف المدني من الجهاد البحري

[1] فكري طونا: **نظرة خاطفة حول الوثائق العثمانية الموجودة بالمركز الوطني للدراسات التاريخية**، مجلة التاريخ، ع خ، النصف الثاني من 1985، ص ص 45-49.

[2] أحمد بن نعماني، مرجع سبق ذكره، ص 222.

عرفت البحرية الجزائرية طيلة تاريخها الطويل عدة مراحل متميزة، و قد كان لهذه البحرية الناشئة دور كبير في إبعاد الخطر الأجنبي على السواحل الجزائرية.[1]كما أن للعثمانيين دور كبير في قوة البحرية الجزائرية فبعد الاحتلال الإسباني للجزائر استنجد سكان الجزائر بالأخوين بابا عروج و خير الدين عروج، فاستجابا للنداء و أنقدا الجزائر عام 1516 م،[2] و منذ ذلك الوقت شكل الجهاد البحري تهديدا للدول الأوروبية.[3]

1. مفهوم الجهاد البحري (القرصنة)

عرفت كورين شوفالييه القرصنة (الجهاد البحري) على أنه:" حرب مشروعة تتم بواسطة بيان صريح للحرب....إذ بالنسبة للمسلمين فإن القرصنة قبل كل شيء هي شكل من أشكال الجهاد البحري ".[4]

و جاء في قول دييغو دي هايدون أن القراصنة يهتمون جدا بالنظام و النظافة و تنظيم في واقع الأمر كانت القرصنة تعتبر بمثابة انتفاضة للأفعال الغير عادلة التي يمارسها لصوص البحر، إذ أنها كانت تسعى من أجل تقليص العنف في البحر ".[5]

و جاء في قول أحمد توفيق المدني على أن:" القرصنة ماهي إلا دفاع إسلامي مشروع ضد لصوصية البحر الخسيسة التي وصل إليها الإسبانيين و البرتغاليون و غيرهم، و التي ذهبت ضحيتها الآلاف المؤلفة من مهاجري الأندلس. فالقرصنة نوع من الحرب المشروعة المقننة التي تخضع لمنهاج عام معترف به من الجميع. و لا تكون حرب

---

[1] نصر الدين براهيمي: **تاريخ مدينة الجزائر في العهد العثماني**، منشورات ثالة، الجزائر، دط، 2010، ص 79.

[2] أحمد بوشاقور: **تاريخ الجزائر من العهد القديم إلى 1954 م**،منشورات إيناج، الجزائر، دط، دت، ص 36.

[3] محمد ابن سعيدان: **الأسطول البحري و دوره في إيالة الجزائر خلال القرن 11 ه/17 م**، مجلة قضايا تاريخية، ع 07، 2017، ص 103.

[4] نفسه، ص 103.

[5] نفسه، ص ص 103-104.

القرصنة إلا ضد سفن الدولة المعادية لا غير، أما سفن الدولة الصديقة المرتبطة مع الجزائر باتفاقيات، فكانت سفن القرصنة الجزائرية تدافع عنها و تحميها ".[1]

و من مجمل التعاريف نستنتج أن الجهاد البحري ما هو إلا عملية اعتراض لسفن الدول المعادية (اعتراض السفن المارة بمنطقة ما دون أخذ الإذن من الدولة و حماية سفن الدول الحليفة كما أنها مشروعة إذ أنها خاضعة لشرعة الحرب، و توسيع الحدود الإسلامية.

2. نتائج الجهاد البحري

هنالك عدة نتائج للجهاد البحري الجزائري العثماني في مواجهة المخططات الأوروبية و تزايد الضغط المسيحي على سواحل المغرب العربي، نلخصها في النقاط التالية:[2]

أولا: أدى الجهاد البحري إلى خلق توازن دولي بين ضفتي البحر المتوسط، الضفة الشمالية التي تميزت بظهور الدول الوطنية الحديثة الأوروبية المتحفزة للتوسع

و السيطرة، و الضفة الجنوبية التي كانت تتقاسمها دول إقليمية متنافسة؛

ثانيا: ساعد الجهاد البحري الذي تزعمته الجزائر منذ القرن السادس عشر على توحيد صفوف المسلمين بالسواحل، فأصبحوا بمثابة كتلة حضارية واحدة تحت راية الدولة العثمانية؛

ثالثا: سمح هذا الجهاد البحري الذي كان يقوم على جهود المتطوعة من الأهالي و الأتراك و الأندلسيين، بمحاصرة و تصفية الجيوب الإسبانية، و بالتالي وضع حد للتوسع المسيحي بشمال إفريقيا، في الوقت الذي اشتدت فيه وطأة البحارة الجزائريين على السواحل الأوروبية، فبلغ عدد غاراتهم ثلاثة و ثلاثين غارة ناجحة فيما بين 1528- 1584 م.

---

[1] أحمد توفيق المدني: **مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار**، مصدر سبق ذكره، ص 22.

[2] ناصر الدين سعيدوني، مرجع سبق ذكره، ص ص 134-135.

3. المدني و موقفه من الجهاد البحري العثماني بالجزائر

في البداية يجب أن نوضح أن المدني استخدم للتعبير عن الجهاد البحري للجزائريين مصطلح " قرصنة " و هو يفرق بينه و بين " لصوصية البحر "،[1] و هذا ما جاء في قوله:" كانت مدينة الجزائر قاعدة لأعمال قرصنة شهيرة، كان يقوم بها القراصنة الجزائريين الوطنيون، في مغامرات بحرية سارت بذكرها الركبان، و لم تكن القرصنة إلا دفاعا ".[2]

إذ أن الغربيين كانوا يطلقون عليها لفظ لصوصية البحر (piraterie) على قرصنة الجزائر، إذ أن القرصنة الجزائرية ما نشأت في عهد الأتراك إلا دفاعا ضد القرصنة الإسبانية البرتغالية التي كانت في الحقيقة لصوصية بحر لا مبرر لها.

إذ جاء في قول المدني كانت الحكومات فيما سلف تسلم أوراقا رسمية للقرصان فتكسبهم بذلك صبغة مأذونة و تميزهم عن لصوص البحر و تجعلهم شبه الجنود المتطوعين الأحرار بالبحر ".[3]

كما جاء في قوله أيضا:" فمراكب قرصان الجزائر كانت لا تهاجم و لا تصادر إلا مراكب الدول المحاربة فحسب و التي لا تربطها بدولة الجزائر معاهدة. أما الدول التي لم تكن في حالة حرب مع الجزائر فالقرصان لا يتعرضون لها بسوء إلا نادرا و عن غلط ".[4]

و قد شكل الجهاد البحري (القرصنة) أبرز النشاطات الاقتصادية للجزائر،[5] و ذلك من تجارة الرقيق و المغانم، إذ جاء في قول المدني:" أن الغاية من القرصنة ضرب

---

[1] فاطمة الزهراء نور، مرجع سبق ذكره، ص 372.

[2] أحمد توفيق المدني: **مذكرات الحاج أحمد شريف الزهار**، مصدر سبق ذكره، ص ص 21-22.

[3] أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، مصدر سبق ذكره، ص 23.

[4] أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، مصدر سبق ذكره ، ص ص 22-23.

[5] فاطمة الزهراء نور، مرجع سبق ذكره، ص 372.

اقتصاديات العدو؛ بالاستيلاء على البضائع الصادرة منه أو الواردة عليه، و أسر من يعمل فوق ظهر تلك السفينة المعادية ".[1]

إذ يرى المدني أن القرصنة البحرية ما جاءت إلا حماية لدول الإسلامية ضد العنفوان الصليبي فهو يراها نوع من أنواع الحروب البحرية المشروعة، ثم إن القرصنة الجزائرية في عهد الأتراك ما نشأت إلا دفاعا ضد القرصنة الإسبانية و البرتغالية و التي كانت في حقيقة الأمر إلا لصوصية بحر فيقول المدني:" انهالوا على مهاجري الأندلس التعساء، فما كان يصل منهم إلى أرض الجزائر إلا القليل الذي فقد كل متاع و كل مال ".[2]

و يقول أيضا:" و كانت يومئذ القرصنة البرتغالية على أشدها فظاعة و هولا، و كانت تفتك بالمسلمين الفتك الذريع..."[3]

كما أن الأسطول البحري للقراصنة الجزائريين التابعين لدولة العثمانية لا يحاربون إلا من حارب سلطانهم، و يسالم من سالمه.[4]

كما نالت مدينة الجزائر بواسطة الغزوات البحرية ثروة و رفاهية تفوق حد التصور[5]كما أن الدول التي كان لها قناصل بالجزائر كانت تتمتع بالحرية البحرية فلا ينالها من المراكب الجزائرية أي أذى و تدفع مقابل ذلك أداء معلوما سنويا للباشا.[6]

و من خلال ما سبق يمكننا أن نستنتج أن الجهاد البحري العثماني الجزائري جاء حماية للحدود الجزائرية من غزوات الدول المعادية كما أنه كان حماية للدول المحالفة للجزائر.

---

[1] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا**، مصدر سبق ذكره، ص 65.

[2] أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، مصدر سبق ذكره، ص 65.

[3] أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، مصدر سبق ذكره، ص 56.

[4]أحمد توفيق المدني، **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا**، مصدر سبق ذكره، عرض الباحث.

[5] أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، مصدر سبق ذكره، ص 63.

[6] نفسه، ص 62.

المبحث الثالث: موقف المدني من التواجد العثماني في الجزائر

عرفت الجزائر فترة من تاريخها هي فترة الوجود العثماني فيها و الذي امتد أكثر من ثلاثة قرون و لذا اهتم بها أحمد توفيق المدني، حيث قام بدراسة بعض القضايا الرئيسية و ذلك بسبب الاختلاف الحاصل في تقييم هذه الفترة من طرف المؤلفين بين من يرى أن الوجود العثماني له دور كبير في الحفاظ على الدين، و بين من كان يرى عكس ذلك و أنه احتلال خاصة بعد ظهور فكرة التتريك و كذا تغطرس الحكام و إهمال العنصر المحلي من جانبيه المادي و المعنوي.

إن الشيخ أحمد توفيق المدني قد تناول قضية الخلافة العثمانية في الجزائر من عدة أوجه و هذا خاصة في ظل تعدد الآراء إزاء هذا الأمر خاصة المشارقة الذين اعتبرواأن فترة الحكم العثماني بالوطن العربي فترة سلبية، في حين أن الجزائريين ينظرون إلى العثمانيين بالجزائر نظرة إيجابية إذ اعتبروا الإخوة بربروس منقذين لهم و للإسلام، بسبب عوامل عديدة أبرزها أن العثمانيين قد خلصوا الجزائر من الحملات الصليبية التي كان هدفها نشر المسيحية و القضاء على الهوية الدينية، بالإضافة إلى هذا فإن الغزو الصليبي تسبب في ضعف دولتين بني حفص و بني زيان، و هنا نجد ظهور الإخوة بربروس للقضاء على هذا الغزو.[1]

بين المدني موقفه من التواجد العثماني من خلال كتبه حيث جاء في قوله:" أنني لست متعصبا للأتراك، و لا أنا متعصب ضدهم، حسبما جرت به تقاليد الكُتَّاب العرب في العصر الحديث، إنما قصارى أمري معهم أنني أذكر الدور البطولي الذي قاموا به خلال عصر الانحلال و التدهور و الغزو المسيحي ".[2]

كما أنه رأى أن فترة الوجود العثماني بالجزائر على أنها مرحلة رخاء مقارنة بالدول الأخرى إذ أنه وضح لنا الفرق بين مسلمي القطر الجزائري بحالة أهل أوروبا الشرقية و الجنوبية حيث قال:" فشتان بين حالة المسلم في الجزائر يومئذ، و بين حالة المسيحي

[1] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، دار هومة، الجزائر، دط، 2002، ص 44.

[2] أحمد توفيق لمدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا**، مصدر سبق ذكره، ص 9.

الخاضع لروسيا و الساكن ببلاد إيطاليا...فالمسلم الجزائري كان يعتبر بحق حرا و سعيدا و عالما إذا قيس بهاتيك الأقوام ".[1]

فمن منظور المدني أن الوجود العثماني بالجزائر نال الكثير من التحريف، حيث يقول:" إن عصر الحكم العثماني بهذه البلاد قد ظلم و امتهن، لا نريد بذلك أن نقول: إنه كان خير بها، و لا نريد أن نقول: إنه كان عصر مدنية و رفاهية و عدل يفوق في ذلك أو يضاهي عصورا أخرى ".[2]

نجد أن المدني لم يعرف كيف يعبر عن الوجود العثماني في بداية كتابته إذ أنه وصفه على أنه احتلال و لكن من سياق الكلام نفهم أن للوجود العثماني تأثير ايجابي، و هذا ما جاء في قوله:" أن الاحتلال التركي كان حدا فاصلا لهاتيك الحروب و الفتن الداخلية التي كانت لا تنجو نارها بين مختلف القبائل الكبيرة ".[3]

و يؤكد أن كلمة " احتلال " ليست بمقصودة بالمعنى ما قاله المدني في كتبه الأخرى و هذا ما جاء في قوله:" فهذه الدولة التي أقامها الشعب بإعانة الأتراك العثمانيين "،[4] و أيضا:" و قد كان الشعب الجزائري سيد أرضه و سيد نفسه و سيد محصوله "،[5] و كذلك:" و لم يكن الأتراك مستعمرين؛ لأنهم لم يملكوا أرضا...و لم يكونوا محتلين؛ لأن جيشهم لم يكن ذا عدد يمكنهم أصلا من احتلال جزء من البلاد ".[6]

كما أنه يجب الإشارة إلى أن أحمد توفيق المدني تناول في كتبه فصولا عن المرحلة العثمانية؛ نذكر منها كتاب " هذه هي الجزائر " حيث سمى تلك الحقبة بـــــ: الجمهورية الجزائرية العثمانية و قد علق على ذلك بقوله:" لكن ما أرى القارئ الكريم إذ علم أن هذا الاسم قد استعمله سفير من سفراء فرنسا من القرن الثامن عشر، و عالم

---

[1] أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، مصدر سبق ذكره، ص 25.

[2] أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، مصدر سبق ذكره ، ص 20.

[3] أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، مصدر سبق ذكره، ص 59.

[4] أحمد توفيق المدني: **حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا**، مصدر سبق ذكره، ص 6.

[5] أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر**،مصدر سبق ذكره، ص 28.

[6] أحمد توفيق المدني: **مذكرات أحمد الشريف الزهار**، مصدر سبق ذكره، ص 20.

باحث جلة علمائها إذ ألف بعد تمثيل دولته لدى دولة الجزائر كتابا أسماه: الجمهورية الجزائرية في القرن الثامن عشر؟ ذلك هو مسيو فونتير دي بارادي ".[1]

كما أن المدني كان منصفا للحكم العثماني و من جهة أخرى يرى بأنه ما كان ليفوق أو يضاهي عصورا أخرى من حيث المدينة و الرفاهية و العدل التي شهدتهم الجزائر في مراحل سابقة من الحكم العثماني، فجاء في قوله:" فهيهات لعصر الحكم العثماني أن يقارب من حيث ازدهار المدينة و إيناع أسواق العلم و الأدب شأن العصر الرستمي أو العصر الحمادي أو العصر الزياني مثلا "،[2] و يؤكد في موضع آخر بقوله:" نعم الجزائر لم تكن أيام العهد العثماني آخذة بأسباب التقدم العلمي و لم تكن سائرة بخطى حثيثة في مضمار العمران. إنما شأنها في ذلك شأن بقية بلاد العالم الإسلامي في مشارق الأرض و مغاربها ".[3]

بالإضافة إلى صراحة المدني في ذكر الولاة و أعوانهم من ناحية سياستهم الظالمة بالإضافة إلى أنهم كانوا يستأثرون بكل مصالح الدولة لأنفسهم و لا يستعملون أبناء البلاد إلا بصفة معاونين، و هذا ما وضحه المدني بقوله:" لم يكن الولاة الأتراك كلهم صالحين هذه حقيقة ناصعة ".[4]

و في ختام القول يمكننا من خلال ما سبق أن نستنتج أن المدني كان من المؤرخين المؤيدين للوجود العثماني بالجزائر، فقد ترجم من خلال الأرشيف الذي جمعه للفترة العثمانية و قارنها بالدول الأخرى والتي كانت تعانيه من اضطهاد.

---

[1] أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، مصدر سبق ذكره، ص 65.

[2] أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، مصدر سبق ذكره، ص 20.

[3] أحمد توفيق المدني: **محمد عثمان باشا داي الجزائر**، مصدر سبق ذكره، 24.

[4] أحمد توفيق المدني: **مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر**، مصدر سبق ذكره، ص 21.

الخاتمة

بناءا على ما تقدم ذكره و بصفة عامة نخرج جملة من النتائج التي شكلت في مجملها انطباعات حول تاريخ الجزائر العثمانية هذا من جهة و من جهة أخرى حياة المؤرخ أحمد توفيق المدني، و القيمة العلمية و التاريخية لكلاهما، و من هنا يمكن إجمال هذه النتائج في النقاط التالية:

أولا: أن فترة الحكم العثمانية تمتعت بأربعة مراحل أساسية بداية من البيلربايات ثم الباشاوات و الآغاوات ثم الدايات في آخر المطاف حتى الاحتلال الفرنسي سنة 1830م؛

ثانيا: بقاء الحكم في ثلاثة قرون محصورا في أيدي الأتراك العثمانيين، حتى أن الكراغلة (أبناء عثمانيين من أمهات جزائريات) كانوا يخافون أن ينقلوا عليهم و يأيدوا الجزائريين لما لهم من صلة قرابة فيما بينهم، مما جعلهم يقصونهم من المناصب العليا في الدولة و هذا سبب من أسباب ضعف حكمهم؛

ثالثا: ظهور فئات جديدة في الإيالة الجزائرية إبان الفترة العثمانية، مثل البرانيون، الكراغلة؛

رابعا: كان التعليم في الجزائر متوزعا على مؤسساته التعليمية من مساجد و زوايا و مدارس؛

خامسا: كانت الأوقاف عبارة عن مؤسسات مركزية تساهم في إسعاد المجتمع و التخفيف من البؤس الذي كانت تعانيه الفئات الفقيرة؛

سادسا: شكل المناخ الثقافي و الديني على تكوين الشخصية الفكرية لأحمد توفيق المدني؛

سابعا: لا شك أن استفادت المدني من ظروف بيئته الأسرية المتميزة، و نشوئه على التربية و الأخلاق، ما لعب دورا كبيرا في تشكيل شخصيته، و صناعة مستقبله السياسي و العلمي في ربوع الجزائر خاصة و الوطن العربي عامة؛

ثامنا: هدفت الكتابات الفرنسية هو خدمة الاستعمار بالدرجة الأولى و محاولة تبرير احتلال الجزائر، رغم تعدد و تنوع الاهتمامات و اختلاف المستويات الثقافية بين الكتاب الفرنسيين؛

تاسعا:

عاشرا: القيمة التاريخية التي خلفتها الكتابات الجزائرية ألا و هي فتح أعين الباحثين على الطمس الذي تعرض له تاريخ الجزائر إبان الفترة العثمانية؛

أحد عشر: مساهمة الكتابة التاريخية الجزائرية في إحياء التراث.

القائمة البيبغرافية

الفهرس

	الصفحة
الإهداء	
قائمة المختصرات	
الملخص	
المقدمة	
الفصل التمهيدي: الأوضاع العامة في الجزائر في الفترة العثمانية	
المبحث الأول: الأوضاع السياسية	2- 7
1. مرحلة البايلربايات 1520- 1587 م	3
2. مرحلة الباشاوات 1587- 1659 م	4
3. مرحلة الآغاوات 1659- 1671 م	5
4. مرحلة الدايات 1671- 1830 م	6
المبحث الثاني: الأوضاع الاجتماعية و الثقافية	7- 31
أولا الأوضاع الاجتماعية	7- 13
1. فئات المجتمع الجزائري	8
2. العوامل المؤثرة في المجتمع الجزائري	13
ثانيا: الأوضاع الثقافية	13- 27
1. الأوقاف	14
2. المساجد و الزوايا	19
3. المدارس العلمية	27
الفصل الأول: الكتابة التاريخية للجزائر في الفترة العثمانية	
المبحث الأول: نشأة الكتابة التاريخية (ابن خلدون)	33- 37
1. تعريف الكتابة التاريخية	33
2. قواعد الكتابة التاريخية	35
3. أثر المنهج التاريخي الخلدوني على الكتابة التاريخية	37
المبحث الثاني: منهج الكتابة التاريخية للفترة العثمانية	38- 45

1. منهج الكتابة عند المؤرخين الجزائريين	38
2. منهج الكتابة التاريخية عند الغربيين	42
المبحث الثالث: القيمة التاريخية لهذه الكتابة	45- 46
الفصل الثاني: أضواء على حياة أحمد توفيق المدني	
المبحث الأول: مولده و نشأته	48- 55
1. النشأة الإجتماعية لأحمد توفيق المدني	48
2. النشاط السياسي لأحمد توفيق المدني	52
المبحث الثاني: تعليمه (مسيرته الدراسية)	55- 59
المبحث الثالث: آثاره (أهم مؤلفاته)	59- 80
1. مسرحية حنبعل	59
2. تقويم منصور	62
3. قرطاجنة في أربعة عصور أو تاريخ شمال إفريقيا من عصر الحجارة إلى الفتح الإسلامي	65
4. كتاب الجزائر	66
5. المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب ايطاليا	68
6. أبطال المقاومة الجزائرية	69
7. جغرافية القطر الجغرافي	70
8. مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر	71
9. محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766- 1791 مك صورة الوجود العثماني بالجزائر في مواجهة جرائم التمدين الأوروبي المروجة	73
10. هذه هي الجزائر	75
11. حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر و إسبانيا 1492- 1792 م	76
12. حياة كفاح (مذكرات)	77

13. محاضرات في اللغة و الفكر و التاريخ	79
الفصل الثالث: المدني و التاريخ العثماني في الجزائر	
المبحث الأول: جهود المدني في جمع الأرشيف العثماني	82- 89
1. التعريف بالأرشيف العثماني في الجزائر	82
2. المدني و جهوده في جمع الأرشيف العثماني	88
المبحث الثاني: موقف المدني من الجهاد البحري	89- 93
1. مفهوم الجهاد البحري (القرصنة)	90
2. نتائج الجهاد البحري	91
3. المدني و موقفه من الجهاد البحري العثماني بالجزائر	91
المبحث الثالث: موقف المدني من التواجد العثماني في الجزائر	93- 96
الخاتمة	
قائمة الملاحق	
القائمة البيبغرافية	
الفهرس	